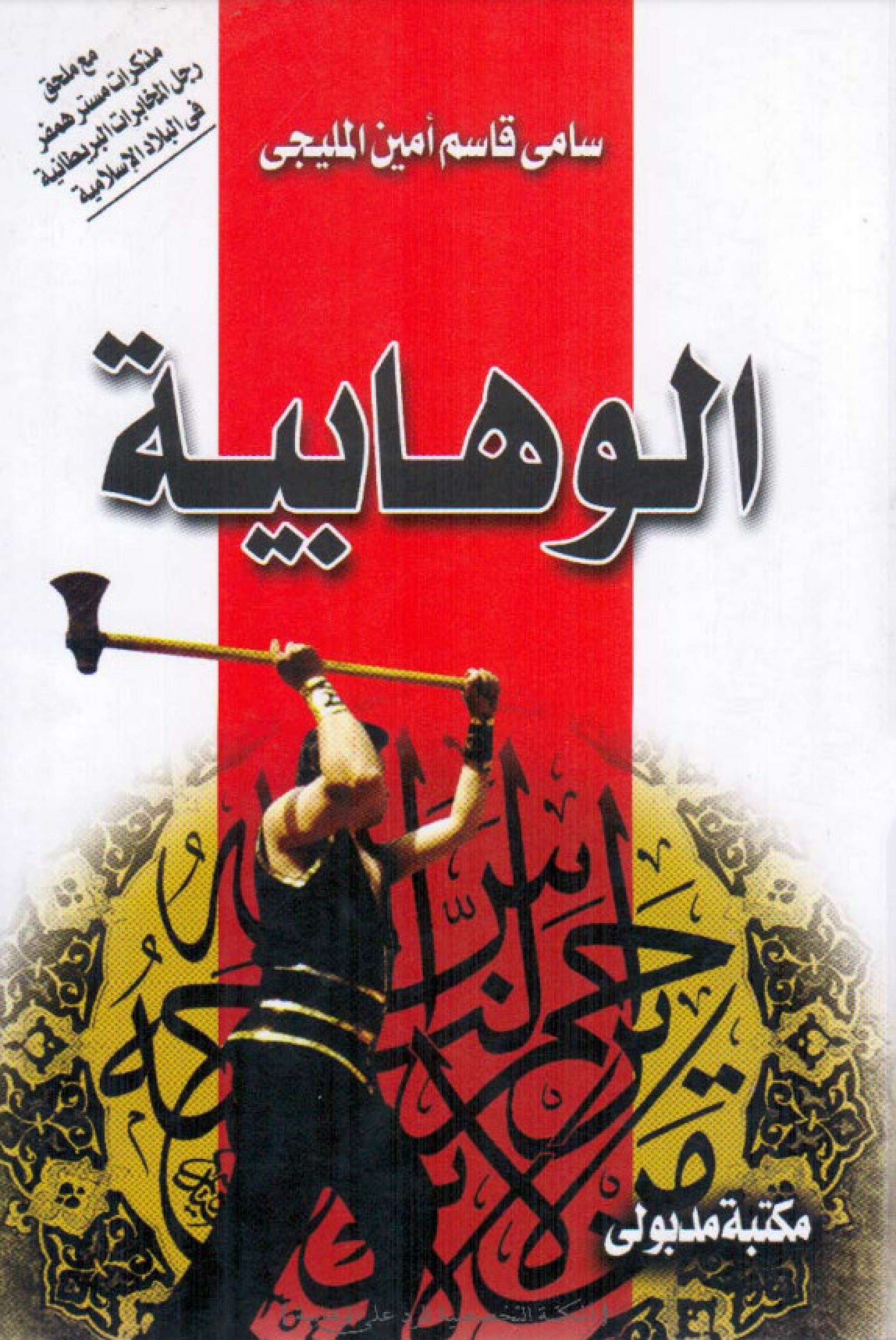

مع ملحق
مذكرات مستر همفر
رجل المخابرات البريطانية
في البلاد الإسلامية
سامى قاسم أمين المليجى
الوهابية
مكتبة مدبولى

الوهـــابية

مع ملحق
مذكرات مستر همفر
رجل المخابرات البريطانية
فى البلاد العربية

الوهابية

سامى قاسم أمين المليجى

الناشر
مكتبة مدبولى
2006 - 2007

الـكـتـــــــاب : الوهـــــــابية

الـكـــــــاتب : سامى قاسم أمين المليجى

الطبـــعـــــــة : الأولى عام ٢٠٠٦

النــاشـــــــر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة

تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ – فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤

www.madboulybooks.com

Info@madboulybooks.com

الإخراج والتنفيــذ : مكتب النصر للجمع التصويرى

رقـــم الإيـــداع : ١٣١٢٠ / ٢٠٠٥

الترقيم الــدولى : ISBN 977-208-548-8

الطبعة الأولى

إهـــداء

إلي جميع المسلمين بالأمة الإسلامية للوقوف علي حقيقة الوهابيــة بصدق وموضوعية بعيدا عن التعصب حتى لا ينخدعوا بشــعاراتهم الرنانة وأفكارهم الجوفاء التي لم تعد بحق تقنع طفــل فــي ريــاض الأطفال في عصر انتشر فيه العلم انتشارا يفوق حد الخيال ، والعلــم المقصود هنا هو العلم بأمور الدين ، فأصبح متاحــا فــي الإذاعــة والتلفزيون وعبر القنوات الفضائية فضلا عن برامج الكمبيوتر ، النى مكنت البسطاء من امتلاك مكتبة تحوي آلاف المجلــدات فــي عــدة أقراص مدمجة يحملها في جيبه ، ولم نذكر لهم إلا بضاعتهم التــي يروجون لها ، فلا مجال لهم للاحتجاج علي نشر هذا الكتــاب الــذي بين أيدينا ، نأمل أن ينفع الله به الأمة الإسلامية وأن يكــون ســببا لتخطي الخلافات في المسائل الفرعية فكفي بهذه الأمة فخــرا بــين الأمم الأخرى أنها موحدة في عقيدتها

" لا إله إلا الله محمد رسول الله "

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

المحتويات

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد ﷺ الفاتح لما أغلق ، الخاتم لمـــا ســـبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط الله المســـتقيم ، وعلـــى آلـــه وصحبه ومن اهتدى بهديه وتمسك بشرعته وســـار علـــى مدرجتـــه المحمدية إلى يوم الدين وبعد :

لقد جاءت فكرة هذا الكتاب بعد قراءتي لكتـــاب " إبـــراء الذمـــة بتحقيق القول حول افتراق الأمة " لفضيلة الأستاذ محمد بن إبـــراهيم بن عبد الباعث الحسيني الكتاني وموضوعه فريد من نوعـــه ويـــدور حول تصحيح فهم المسلمين لأحاديث رسول الله ﷺ عن افتراق الأمة نذكر منها ما ورد **عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " قَالَ رَسُـــولُ اللَّـــه ﷺ افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَـــبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنْ هُمْ قَالَ الْجَمَاعَةُ ".**

سنن ابن ماجة – كتاب الفتن

حيث أثبت بالأدلة القاطعة من القرآن والسنة النبوية الشـــريفة أن المقصود بالأمة في الحديث هو أمة الدعوة وليست أمة الإجابة وقد

أزال عنى هذا الفهم حيرة شديدة تملكتني لسنوات عديدة تولد عنها كثير من التساؤلات منها " أين هو اختصاص الأمة المحمدية بالفضل علي الأمم السابقة وقد افترقت أكثر منها إلي ثلاث وسبعين فرقة " وفي المقابل فقد تبين بعد هذا الفهم أن أمة الإجابة هي المقصودة في حديث أخر لرسول الله ﷺ المروى **عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ " قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ " أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ".**

سنن أبي داوود – كتاب الفتن والملاحم

ولقد بلغ من فضل الأمة المحمدية أن سيدنا موسى عليه السلام سأل الله أن يكون من هذه الأمة فقد أخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة فال " **قال موسى رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال هذه أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال هذه أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون في الكتاب الأول و الكتاب الأخر يقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم يقرءونها** (قال قتادة وكان من قبلكم إنما يقرءون كتابهم نظرا فإذا رفعوها لم يحفظوا

منها شيئا ولم يعه وإن الله أعطاكم أيها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قبلكم فالله خصكم بها وكرامته أكرمكم بها) **قال فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها** (قال قتادة كان من قبلكم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وإن ردت تركت فأكلتها السباع والطير وإن الله تعالي أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم رحمة رحمكم بها وتخفيفا خفف به عنكم) **فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد، قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف قال فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد ، قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإذا عملها كتبت له سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد، قال رب إني أجد في الألواح أمة المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد** (قال قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح) **قال اللهم إذن فاجعلني من أمة أحمد قال فأعطي اثنين لم يعطهما قال يا موسى إنى اصطفيتك علي الناس برسالتي وبكلامي قال فرضي نبي الله ثم أعطى الثانية " وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ " قال فرضي نبي الله موسى كل الرضي ".**

علي ضوء ما سبق فقد ساء ني زيغ بعض الشـباب الـذين انخدعوا بالفكر الوهابي وساروا علي أثارهم دون وعي وتدبر فرأيت من واجبي تأليف كتاب عن " الوهابية " كي يعود هؤلاء الشباب إلي رشدهم وحتى يتبين للناس حقيقتهم ، وفي أثناء إعداده اطلعت علـي كتيب عنوانه " مذكرات مستر همفـر" موضوعه الأساسي أن الدعوة الوهابية ، صنيعة المخابرات البريطانية في الوقت الذي كانت تُسمى بريطانيا نفسها "الإمبراطورية التي لا تغرب الشمس عن أرضـها " وبعد قراءتي لهذا الكتيب لمست " وكما سـيلمس القـارئ أيضـاً " مصداقية هذه المذكرات لعدة أسباب منها :

- تحقق الأهداف المعلنة في هذا المخطط الإجرامي المذكورة في هذا الكتيب وموافقتها فعلا للواقع الذي نعيشه الآن .
- عدم مصداقية الدعوة الوهابية فيما تدعو إليه فقد كان شعارها الأول إحياء السنن التي أميتت والقضاء علي البدع المستحدثة ، فإذا بها لم تحي أول سنة أميتت في الإسلام وهي الخلافة الراشدة بل باركـت نظام الحكم الوراثي الذي ابتدعه بنو أمية ، ثم استحدثت بدعة لـم تكن موجودة من قبل ، وهي أن جعلت الإفتاء والشئون الدينية فـي ذرية زعيم الدعوة الوهابية محمد عبد الوهاب ويطلـق علـيهم أل الشيخ ، ولو صح أن يكون العلم وراثيا ، فمن باب أولي كان الأجدر بهم أن يقبلوه وراثيا من أفضل الخلق سيدنا محمد ﷺ فيقرون هذه المناصب لأل محمد ﷺ من أهل البيت من ذرية الحسن والحسـين

رضي الله عنهم ،خصوصا أنه روى في سنن الترمذي كتاب العلم عن أَبِي الدَّرْدَاءِ قول رسول الله ﷺ "..إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ.. " ويلاحظ أن "العلم" جاء في السياق مقابل الدينار والدرهم ولا يورثان إلا لعصبة الرجل وقرابته ، فيفهم من ذلك أن المقصود بالميراث هم أل سيدنا محمد ﷺ من أهل البيت .

لذا فقد رأيت استكمالا للفائدة إلحاق "مذكرات مستر همفر" بهذا الكتاب ليكون الهدف من نشره تبصير الأمة الإسلامية بحقيقة الوهابية وعدم استمرارها مخدوعة بها .

لقد كانت الوهابية شؤم على العالم الإسلامي خِصوصاً في الحقبة الأخيرة من الزمان ، حيث تسببت أفكارها في المعاناة التي يعاني منها المسلمون في شتى بقاع الأرض هذه الأفكار التي أفرزت شرذمة من شباب اعتنقوا مبادئ هدامة ومارسوا الإرهاب على المسلمين وغير المسلمين ، مما جعل العالم كله للأسف الشديد يعتقد خطئا أن دين الإسلام دين يدعو إلى الإرهاب .

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بما ذكرناه هذا **فعن عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ**

الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ* .

* صحيح البخاري – كتاب المناقب

وعنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ قَالُوا يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا قَالَ إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَمَنَعَهُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ".صحيح البخاري- كتاب الأنبياء

وفى مسند أحمد ابن حنبل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ وَالتَّسْبِيتُ .

والأوصاف المذكورة في هذه الأحاديث الثلاثة تنطبق على الوهابيين كما سترى لاحقا... وهذا هو السبب الذي صرف رسول الله ﷺ عن الدعاء لأهل نجد بالبركة **فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شامنا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا يَا رَسُولَ للّه وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ** . صحيح البخاري- كتاب الفتن

والهدف أيضاً من نشر هذا الكتاب بعد ترجمته باللغة الإنجليزية إن شاء الله فضح النوايا الخبيثة لزعماء وقيادات العالم الغربي أمام شعوبهم ومطالبتها بالكف عن تدبير المكائد والدسائس ضد العالم الإسلامي من أجل إضعافه وإثارة عوامل الفرقة والاختلاف بينهم لأن كيدهم غير رشيد وتدبيرهم غير محكم وقابل للإنخراق ويرتد إليهم في نحورهم بمقتضى قوله تعالى:

".....وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ..." (فاطر ٤٣)

والنتيجة أن تدفع شعوبهم بعد ذلك الثمن فادحاً ، فالدعوة الوهابية مثلاً من تدبير وصنع المخابرات البريطانية ،كما ذكرنا آنفاً ،من أجل تحقيق أهدافهم الخبيثة المعلنة في هذا الكتيب ، صحيح أن هذه الأهداف من وجهة نظرهم قد تحقق معظمها ، ولكن لم يخطر ببالهم وقتها الآثار الجانبية المريعة التي ظهرت بعد أكثر من قرنين

من الزمان وهي الإرهاب، والتي بلغت ذروتها في أحـداث الحـادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ .

كما لا يخطر ببالهم الآن ، أن الصحوة الإسلامية التي بـدأت في نهاية القرن الرابع عشر وتتعاظم يوما بعد يوم ما هي إلا إحـدى النتائج الثانوية للنكبة التي أصابت الأمة الإسلامية بقيام إسرائيل التي ستتسبب في أفول الحضارة الغربية أجلا أو عاجلا التي زرعتها فـي الوطن العربي ، ورب ضارة نافعة، تماما كما كـان قيـام الخلافـة العثمانية التي أعز الله بها الإسلام في نهاية القرن السـابع الهجـري إحدى النتائج الثانوية للنكبة التي أصابت الأمة الإسلامية أيضا بغـزو التتار والتاريخ يعيد نفسه .

الفصل الأول

سمات الوهابية

إذا نظرنا بعين الإنصاف إلي ما قدمته الوهابية للعالم الإسلامي منذ نشأتها حتى الآن ، نجد والحق يقال أنها حضت الناس على الالتزام بالصلوات الخمس والترغيب في القيام بشعائر الدين والتمسك بالسنن وهذا أمر جيد وإيجابي يحسب لصالحها ، ولكن لها سلبيات عظيمة نوجزها فيما يلي:

أولا: سوء الأدب مع الحضرة النبوية الشريفة:

وهذه السمة تحتاج لمصنف مستقل وهي سمة تتوافق مع أهداف أعداء الإسلام في إضعاف الصلة الروحية بين المسلمين وبين نبيهم ﷺ .

١ - لذا تراهم يتعمدون ذكر اسمه مجردا عن التسييد ، في الوقت الذي يذكرون أسماء ملوكهم وأمرائهم مسبوقة بسلسلة طويلة من الألقاب وينسبونه إلي أبيه، بقولهم "محمد بن عبد الله" في حين أن الله سبحانه وتعالى نسبه إلى نفسه في كتابه بقوله "...مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ.." (الفتح٢٩) وكيف لا يسيدونه وقد قال رسول الله ﷺ عن نفسه فيما يروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ

وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ . سنن ابن ماجة – كتاب الزهد

بل صح إطلاق " السيد " على غير رسول الله ﷺ فقد روى عن الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ **قَالَ صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَقَالَ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ يُصْلِحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ** "

* سنن الترمذى – المناقب

وأيضا فيما يروى عن أبى سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِي اللَّه عَنْه قال : " **نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَقَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ قَالَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرُبَّمَا قَالَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ** " . *

صحيح البخارى– كتاب المغازي

وكَانَ عُمَرُ يَقُولُ " أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلَالًا " .*

* – صحيح البخاري – كتاب فضائل الصحابة

فإن قيل لهؤلاء "سيدنا " فمن باب أولي يقال لرسول الله ﷺ "سيدنا " وعلى هذا فقد قدم الشافعية وغيرهم الأدب بين يدي رسول الله ﷺ فقالوا في الصلاة عليه.. اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد....الخ ، ثم بعد هذه الحجج الدامغة تستكثر الوهابية على أفضل خلق الله وأشرف خلق الله وأكرم خلق الله على الله أن يقولوا "سيدنا محمد " .... !

٢ - يدعّي الوهابيون أن الصلاة والتسليم على سيدنا محمد ﷺ بعد الآذان تخرج الآذان عن كونه (أذاناً شرعياً) بزعم أن المؤذن أدخل في الآذان ما ليس فيه، وغاب عنهم أن الآذان له بداية ونهاية فيبتدئ بالتكبير وينتهي بـ(لا إله إلا الله) فإذا فرغ المؤذن من قوله (لا إله إلا الله) تحقق الآذان وجاز له التحدث في أي أمر من الأمور، إذ لم يرد أي نص أو أمر يحرم الكلام بعد الآذان، فإذا رفع صوته بالصلاة على النبي ﷺ " فإنه يثاب على ذلك لأن الصلاة عليه قربة من القرب العظيمة، "**فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ** ﷺ " **يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** " . صحيح مسلم - كتاب الصلاة

أو ليس المؤذن أول من يسمع نفسه بالآذان وهو أولى بالصلاة عليه ولقد قال الإمام الشافعي رضى الله عنه أن الصلاة على النبي ﷺ بعد الآذان سنة حيث أمر الله المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه ﷺ بمقتضى قوله تعالي : " **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** " الأحزاب (٥٦)

والمؤذن داخل تحت عموم النص .

٣ – ومما يلحق بموضوع الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ بعد الأذان قول المؤذن يا أول خلق الله حيث تقول الوهابية كيف يكون أول خلقه وهو ليس أول خلق الله إيجادا ، إننا لا نقول لهم كما يقول غيرنا بأولية نوره ﷺ إيجادا وإن كنا نعتقد في ذلك، ولكننا نقول إن الأولوية لا تعنى بالضرورة أولوية الإيجاد ولكنها أولية رتبة ومنزلة، وإذا كان أدم أبو البشر وأولهم فقد كان الأولي أن يكون أولهم بعثا، ولكن الرسول ﷺ صرح بأنه أول من يبعث ، **فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ.."** (سنن ابن ماجة – كتاب الزهد) ، وإن من أعظم مخازي الوهابية أن محمد بن عبد الوهاب أمر بقتل مؤذنا وكان رجلاً صالحاً أعمى لأنه صلى على النبي ﷺ بعد الآذان .

٤ – النهى عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وقد صدر عن هذا الموضوع مؤلفات كثيرة لعلماء أفاضل بينوا فيه بجلاء سخافة تعسف الوهابية في نهيهم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فأحسنوا وأجادوا وأقرأ إن شئت لسماحة المغفور له الشيخ الدكتور محمد علوي المالكي الحسني خادم العلم الشريف ببلد الله الحرام وعالم الحجاز، وله رسالة عظيمة حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف صدرت ضمن سلسلة إيضاح مفاهيم السنة النبوية طباعة "دار جوامع الكلم " .

٥ – التشديد علي تنبيه الحجاج بتوجيه النية لزيارة المسجد النبوي وليس لزيارة القبر الشريف عملا بالحديث المروي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ "**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**" سنن الترمذى

وهذا الاستدلال باطل و إلا لتعطلت مقاصد السفر سواء في طلب العلم أو صلة القرابة أو العمل بالخارج مثلا، وهذا لم يقل به أحد من العلماء والمقصود هو ألا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة ، كما أن هذا الاستدلال باطل أيضا من طريق أخر، فقد نسب الرسول ﷺ المسجد لنفسه لبيان قصد الزيارة إليه ﷺ.

٦ – ولقد أساء محمد ناصر الدين الألباني (وهو من أنصار الوهابية وأحد دعاتهم) في كتابه مناسك الحج والعمرة الأدب مع رسول الله ﷺ بزعم الحد من الغلو في تعظيم رسول الله وذلك تحت مسمى بدع الزيارة في المدينة المنورة نذكر منها ما يلي دون تعليق:[1]

(أ) قصد قبره ﷺ بالسفر، والسنة قصد المسجد لقوله ﷺ :(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .) الحديث، فإذا وصل إليه وصلي التحية زار قبره ﷺ .

---

[1] لا يحتاج القارئ إلى تنبيه إلى أن هذه البدع كما زعم الألباني لا تخرج عن كونها من المباحات أن لم تكن من المندوبات واعتبار الألباني ما ذكره آنفا بدعا مخالف للفطرة والذوق السليم .

ويجب أن يُعلم أن شد الرحل لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وغيره شيء، والزيارة بدون شد الرحل شيءآخر.

(ب) إرسال العرائض مع الحجاج والزوار إلى النبي ﷺ وتحميلهم سلامهم إليه.

(ج) الاغتسال قبل دخول المدينة المنورة .

(د) القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة: اللهم هذا حرم رسولك، فاجعله لي وقاية من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب .

(هـ) القول عند دخول المدينة: بسم الله وعلى ملة رسول الله : "... رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا " (طه ٨٠)

(و) إبقاء القبر النبوي في مسجده .

(ز) زيارة قبره ﷺ قبل الصلاة في مسجده .

(ح) استقبال بعضهم القبر بغاية الخشوع واضعاً يمينه على يساره كما يفعل في الصلاة، قريباً منه أو بعيداً عند دخول المسجد أو الخروج منه.

(ط) قصد استقبال القبر أثناء الدعاء .

(ى) قصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.

(ك) التوسل به ﷺ إلى الله في الدعاء.

(ل) طلب الشفاعة وغيرها منه.(م) وضعهم اليد تبركاً على شباك حُجْر قبره ﷺ وحلف بعضهم بذلك بقوله: وحق الذي وضعت يدك شباكه، وقلت: الشفاعة يا رسول الله !!

(ن) تقبيل القبر أو استلامه أو ما يجاور القبر من عود ونحوه .

(س) التزام صورة خاصة في زيارته ، وزيارة صاحبيه، والتقيد بسلام ودعاء خاص، مثل قول الغزالي:(يقف عند وجهه ﷺ ويستدبر القبلة، ويستقبل جدار القبر... ويقول: السلام عليك يا رسول الله ... فذكر سلاماً طويلاً، ثم صلاة ودعاء نحو ذلك في الطول قريباً من ثلاث صفحات، والمشروع هو: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر، كما كان ابن عمر يفعل، فإن زاد شيئاً يسيراً مما يلهمه ولا يلتزمه ، فلا بأس عليه إن شاء الله تعالى.

(ع) قصد الصلاة تجاه قبره.

(ف) الجلوس عند القبر وحوله للتلاوة والذكر.

(ص) قصد القبر النبوي للسلام عليه دبر كل صلاة، وهذا مع كونه بدعة وغلواً في الدين، ومخالفاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني)؛ فإنه سبب لتضييع سنن كثيرة، وفضائل غزيرة، ألا وهي الأذكار، والأوراد بعد السلام، فإنهم يتركونها ويبادرون إلى هذه البدعة. فرحم الله من قال: ما أحدثت بدعة إلا وأميتت سنة.

(ق)قصد أهل المدينة زيارة القبر النبوي كلما دخلوا المسجد أو خرجوا منه.

(ر) رفع الصوت عقب الصلاة بقولهم : السلام عليك يا رسول الله.

(ش) التزام زوار المدينة الإقامة فيها أسبوع حتى يتمكنوا من الصلاة في المسجد النبوي أربعين صلاة، لتكتب لهم براءة من النفاق،وبراءة من النار.

٧ – أما الإساءة الكبرى فاعتقادهم إمكانية وقوع صغائر الذنوب من رسول الله ﷺ (حاشاه عن ذلك) كما ذكر ابن باز في إحدى فتاواه رداً على سؤال بهذا المعنى مستدلاً بدعاء النبي ﷺ " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ** "ودعاءه أيضاً : " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي** " . (صحيح مسلم – كتاب الصلاة ، وكتاب الذكر والدعاء)

وهذه زلة عظيمة أوقعهم فيها أيضاً أخذهم النصوص على ظاهرها، ولم يفطنوا أن الرسول ﷺ أختصه الله سبحانه وتعالى بخاصية التشريع لأمته بجانب مهمته الإبلاغ عن الله سبحانه وتعالى وهذه الخاصية لم يعطاها نبي قبله.

ثانياً: تكفيرهم لعامة أهل القبلة:

ممن يشهدون أن لا آله إلا الله محمد رسول الله ﷺ مما نفر المسلمون عنهم، وأبعد غير المسلمين عن الوصول إلى هذا الدين الحنيف، ولم يلتزموا بهدي رسول الله في الدعوة المروي عَنْ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " **يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا** " (صحيح البخاري-كتاب العلم) بل كان أسلوبهم على النقيض من ذلك تماماً.

وقد روى البخاري عن أبن عمر رضى الله عنه إنه قال في وصف الخوارج " **إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** " ، ولذلك وصفهم كثير من أهل العلم " بأنهم خوارج هذا العصر" لأنه لا شاغل لهم إلا تربص الأخطاء للمسلمين لتكفيرهم واتهام من يخالفهم بالشرك والعياذ بالله مع أن رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة بأنها معصومة من الشرك **فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**". صحيح البخاري - كتاب الجنائز

وهم مع ذلك يمدحون أهل الشرك والكفر كمشركي قريش الذين حاربوا رسول الله ﷺ وتصدوا لدعوته فهم عند الوهابية على زعمهم أكثر توحيداً لله من المسلمين، واستدلوا على ذلك بأن هؤلاء المشركين عند وقت الشدة يلجئون إلى الله وحده سبحانه وتعالى بمقتضى قوله "**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** " (الإسراء: ٦٧) بينما مشركي هذا العصر من المسلمين يستمرون في ضلالهم حتى

وقت الشدة فيتوسلون بالأولياء الصالحين[٢]، وهذا الاستدلال غير صحيح ويحسب عليهم،لأن الله لم يذكر هذا النمط من البشر فيمن ذكرهم في كتابه الكريم، والله سبحانه وتعالي لا يفوته شيء فيستدرك عليه تعالي عما يقولون، فلا يبقي إلا أن يكون ذلك دليلاً مؤكداً على صحة التوسل بالأولياء، بمقتضى قوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**

(٢) أقرأ إن شئت كتاب "كيف نفهم التوحيد" تأليف محمد أحمد باشميل، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء الرياض سنة ١٩٨٧ وأنظر أيضاً تعليق عبد العزيز بن باز في تعليقه على شرح البخاري الجزء الثاني "طبع دار المعرفة ٩٥ بيروت" تكفيره للصحابي الجليل/ بلال بن الحارث المزني واعتبر أن زيارته لقبر النبي ﷺ وتوسله بالرسول عند القحط في زمن عمر رضى الله عنهما شرك – وليس هذا فقط بل شيخه أحمد بن تيميه ؟؟ انتقد عبد الله بن عمر رضى الله عنهما الذي شهد له الرسول بالصلاح وكان معروفاً بالعلم والفهم والورع بعد أن نقل ابن تيميه في كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم" طبع دار المعرفة بيروت صفحة ٣٩٠ عند تتبع ابن عمر للأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وتحراها لأجل الصلاة فيها يقول ابن تيميه " .. وذلك ذريعة إلى الشرك بالله" والعياذ بالله تعالى. وفي الكتاب المسمى " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" تأليف عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (راجعه وعلق عليه عبد العزيز بن باز طبع دار الندرة الجديدة صفحة ١٩٠) يكفر أهل السنة في بلاد الشام واليمن وفي الجزيرة العربية والحجاز والعراق ومصر ويزعم أن أهل الشام يعبدون ابن عربي و أن أهل مصر يعبدون البدوى وأن أهل العراق يعبدون الجيلانى وأن أهل الحجاز واليمن يعبدون الطواغيت والأحجار والأشجار والقبور. ولقد تجرأ محمد بن صالح العثيمين على تضليل الأمام النووي والحافظ ابن حجر رحمهما الله حيث يقول في كتابه لقاء الباب المفتوح صفحة ٤٢ طبع دار الوطن العربي الرياض " ليس من أهل السنة والجماعة" وذلك تعصباً منه لرأي محمد بن عبد الوهاب.

اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "(المائدة: ٣٥)

بل زاد ضلالهم بتكفيرهم للمسلمين الذاكرين الله كثيراً، واعتبروا أن الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ شركاً[٣].

أيضا فإنهم اتخذوا مسألة النهي عن اتخاذ القبور في المساجد مسألة كبري تسببت في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين إلي أكبر حد مع أنها مسألة خلافية كثر حولها الجدل ولا تستحق كل هذا الحيز من الإثارة خصوصا أن الأمة الإسلامية معصومة من الشرك كما ذكر آنفا بدليل أنه لا يوجد مسلم واحد علي ظهر الأرض فتن بالآية الكريمة في قوله تعالي:

"**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** " (الفتح ١٠) ، ولو فتن السلمون بهذه الآية كما فتن النصارى بعيسي ابن مريم لاستدلوا بنص الآية أن محمدا ﷺ هو الله بعينه سبحانه وتعالي عن ذلك علوا كبيرا .

---

[٣] في الكتاب المسمى "حلقات ممنوعة" طبع دار الصحابة بطنطا – مصر صفحة ٢٥ يقول حسام العقاد " ومن البدع أيضاً في هذه الحلقات أن يحدد الشيخ أرقام ليقولها الذاكر فيقول قل لا إله إلا الله ألف مرة مثلاً أو ﷺ عشرة آلاف مرة أو أكثر وكل هذا لم يرد في شرعتنا وهو من ابتداع الجاهلين، لقد خرج هؤلاء عن الذكر الشرعي إلى ذكر يشرك بالله تعالى" أ هـ

انظر كتاب إبراء الذمة بتحقيق القول حول افتراق الأمة تأليف العلامة المحقق العارف بالله الأستاذ محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الحسيني الكتاني وهو كتاب لا غنى لأي مسلم عن قراءته .

ثالثاً: مساهمة هذه الدعوة بشكل كبير في خدمة أهداف أعداء الإسلام:

سواء بقصد أم من غير قصد وأولها مبدأ "فرق تسد" فقد دأبت هذه الدعوة تحت مسمى " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" على توسيع شقة الخلاف بين المسلمين باشتغالها بتوافه الأمور وجعلها قضايا أساسية مع أن الله سبحانه وتعالى أمر بعدم الفرقة والاختلاف بقوله " **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** " (آل عمران:١٠٤، ١٠٥) ، ووجه المناسبة بين الآيتين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يتم بشروطه وبالضوابط التي يعرفها فقط من آتاهم الله فقها في الدين فإنه قد يؤدي إلى الفرقة والاختلاف ويكون ضرره أكثر من نفعه، ولنا عبرة في الحوار الذي دار بين سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام في قوله تعالى: " **قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ**

فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي" (طه:٩٢-٩٤) ويفهم من هذه الآيات أن سيدنا هارون عليه السلام وهو نبي مرسل فضل ترك قومه على عبادة العجل مع إنه شرك أكبر مخافة أن يتفرقوا .

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بعدم الاختلاف فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ **عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ وَقَالَ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا** *

صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء

وهناك شاهد أخر من السنة علي ضرورة إتباع جماعة المسلمين وعدم الفرقة والاختلاف **فعن الْقَاسِمُ ابْنُ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ كُنَّا قَدْ حَمَلْنَا لِأَبِي ذَرٍّ شَيْئًا نُرِيدُ أَنْ نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ فَأَتَيْنَا الرَّبَذَةَ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَلَمْ نَجِدْهُ قِيلَ اسْتَأْذَنَ فِي الْحَجِّ فَأُذِنَ لَهُ فَأَتَيْنَاهُ بِالْبَلْدَةِ وَهِيَ مِنًى فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ قِيلَ لَهُ إِنَّ عُثْمَانَ صَلَّى أَرْبَعًا فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ وَقَالَ قَوْلًا شَدِيدًا وَقَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ثُمَّ قَامَ أَبُو ذَرٍّ فَصَلَّى أَرْبَعًا فَقِيلَ لَهُ عِبْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ثُمَّ صَنَعْتَ قَالَ الْخِلَافُ أَشَدُّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَنَا فَقَالَ إِنَّهُ كَائِنٌ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَلَا تُذِلُّوهُ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُذِلَّهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ وَلَيْسَ بِمَقْبُولٍ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يَسُدَّ ثُلْمَتَهُ الَّتِي ثَلَمَ وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ ثُمَّ يَعُودُ فَيَكُونُ فِيمَنْ يُعِزُّهُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَغْلِبُونَا عَلَى ثَلَاثٍ أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَنُعَلِّمَ النَّاسَ السُّنَنَ *(مسند أحمد – مسند الأنصار)

وهذا دليل قاطع علي خطأ بعض الشباب في الدول العربية أتباع الوهابية الذين يصومون ويفطرون تبعا لرؤية الهلال في السعودية بصرف النظر عن ثبوت الرؤية في بلادهم مثيرين بذلك الفرقة والاختلاف بين المسلمين. ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ برئ من فرق الضلالة حيث قال الله سبحانه وتعالى: " **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**" . (الأنعام ١٥٩) ووصفهم بأنهم شيعاً أي يمالئي بعضهم بعضاً على أمر واحد مع اختلافهم فيما بينهم وهذا أمر مشاهد وملحوظ جداً في الوهابيين، فإذا وقعت خصومة لأحدهم مع الغريب فإنهم يقفون وقفة رجل واحد لمناصرة من هو من شيعتهم ضد هذا الغريب بصرف النظر عما إذا كان محقاً أو مخطئا.

رابعا: التمسك بالقشور دون اللب وبالقوالب دون القالب:

فأصبح حلق اللحية فسقا وأحيانا شركا مع أنه على أكثر تقدير محمول على الكراهة فقط ولو كان حلق اللحية محرما للعن رسول الله ﷺ حالقها كما لعن المتنمصات من النساء، فقد روى **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ**

فَجَاءَتْ فَقَالَتْ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ فَقَالَ وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ قَالَ لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ أَمَا قَرَأْتِ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قَالَتْ بَلَى قَالَ فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ قَالَتْ فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ قَالَ فَاذْهَبِي فَانْظُرِي فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا فَقَالَ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا .(صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن)

وعلة اللعن أنه تغيير لخلق الله، ولم يعتبر الأمر كذلك بالنسبة لحلق اللحية، وكذلك مسألة إسبال الثوب وتقصيره رغم أن المسألة لا تستحق كل هذا الاهتمام ، ولا يمكن في هذا العصر أن يوصف من يرتدي ثوباً طويلاً أنه متكبر متعال بدليل أنه روى عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ*

* صحيح البخاري- كتاب اللباس ، باب من جر إزاره من غير خيلاء

وليست هذه خصوصية لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وأن المقصود فقط من يتخذ ذلك كبراً وخيلاء بنص الحديث الشريف.

خامساً: الجمود والركود ورفض كل ما هو جديد:

وعدم تفاعلهم مع الواقع والأحداث الجارية وإلا فهل خدمت الوهابية العالم الإسلامي ووقفت يوماً موقفاً إسلامياً يُشهد له ، وماذا قدموا في مواجهة النفوذ الغربي والنفوذ الصهيوني ، وهل نشروا العدل وأقاموا الحق وأزهقوا الباطل إن غاية أعمالهم البحث عن وجود قبر هنا ومرقد هناك ، ومسلم يستغيث بالنبيﷺ ليحكموا بكفره ، هذا هو الهم الوحيد في مؤلفاتهم ومحاضراتهم وفتاواهم ، أما المشاكل والعواصف التي تهب على العالم الإسلامي فإنها لا تؤثر فيهم فهم بمعزل ومأمن عنها.

وليس أدل على هذا الجمود اعتقادهم حتى الآن بأن الأرض ثابتة والشمس تدور حولها وهذا مذكور على شبكات الإنترنت التابعة للوهابيين وشاهد إن شئت موقع binbaz.org.sa فستجد ضمن مؤلفاته كتاب " الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس وسكون الأرض" طبع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٩٥.

وهذا يوافق اعتقادهم بأخذ الأمور على ظواهرها، ويلاحظ أنه أقر بإمكان الصعود إلى الكواكب بعد أن وصل إلى علمه نزول أول رائد فضاء على سطح القمر قبل تأليف هذا الكتاب بعدة سنوات.

يقول المؤلف..." *أما بعد ، فلقد شاع بين كثير من الكتاب والمؤلفين والمدرسين في هذا العصر أن الأرض تدور والشمس ثابتة ، وراج*

هذا على كثير من الناس ، وكثر السؤال عنه ، فرأيت أن من الواجب أن أكتب في هذا كلمة موجزة ترشد القارئ إلى أدلة بطلان هذا القول ومعرفة الحق في هذه المسألة ".

ولن نذكر ما كتبه حيث أقل وصف له أنه مخْجِلْ ، ولكن نذكر فقط حكمه على من يخالفه الرأي في هذه المسألة ، فقد قال.. " *فمن زعم خلاف ذلك وقال أن الشمس ثابتة لا جارية فقد كذب وكذب كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ومن قال هذا القول فقد قال كفراً وضلالاً لأنه تكذيب لله وتكذيب للقرآن وتكذيب للرسولﷺ لأنه عليه الصلاة والسلام قد صرح في الأحاديث الصحيحة أن الشمس جارية وأنها إذا غربت تذهب وتسجد بين يدي ربها تحت العرش كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر رضى الله عنه وكل من كذب الله سبحانه أو كذب كتابه الكريم أو كذب رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام فهو كافر ضال مضل يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيئا لبيت مال المسلمين كما نص على مثل هذا أهل العلم .*

سادساً: الزعم بتحكيم شرع الله والحقيقة خلاف ذلك :

لقد ثبت قطعياً تطبيق شرع الله فقط في الأمور التي لا تخالف أهوائهم أما عدا ذلك فإنه يتم تطويع شرع الله بما يوافق أهوائهم والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

- يشترط على المرأة التي تتعاقد للعمل في السعودية أن تكون بصحبة محرم وهذا أمر فرضه الشرع، ولكن عندما يتعارض ذلك مع مصالحهم فلا مانع عندهم من التغاضي عن هذا الشرط بدليل أنه لا يشترط وجود محرم مع الخادمة التي تعمل بالسعودية ويسمح أن تجئ بمفردها للعمل .

- يشترط على الأجانب عند عمل "توكيل رسمي" أن يكون الوكيل سعودي الجنسية وهذا شرط غير موجود في كتاب الله ولا سنة رسوله .

- تطبيق شرع الله في الحدود على الضعيف فقط دون القوي(٤) ولم يبالوا بتحذير الرسول ﷺ في قوله **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ**

---

(٤) المقصود بالقوي هنا مواطني الدول القوية وهي الدول الغربية مثل أمريكا وبريطانيا، والضعيف مواطني الدول النامية. وقد شاهدت بنفسي تطبيق حكم الإعدام بالسيف على رجل من هذه الدول كان يصنع الخمر في بيته، بينما تم الحكم على رجلين بريطانيين بالسجن المؤبد فقط على نفس الجريمة والأغرب من ذلك أنه تم العفو عنهما بعد ذلك وإعادتهما إلى بلدهما حيث تم استقبالهما هناك استقبال الأبطال، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً لا يمكن استقصاءها.

وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا .
صحيح البخاري- كتاب الحدود

سابعا : قضاء الوهابية :

حتى القضاء السعودي لم يسلم من مخالفة شرع الله ، بل لا مانع عنده من الانسلاخ عن شرع الله انسلاخاً كاملاً كما ينسلخ الثعبان من جلده، ولا يبال بتحقق وصف الله سبحانه وتعالي عليه في قوله تعالى: " **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** " (الأعراف ١٧٥) وذلك عندما يتعلق الحكم في قضية طرفها أجنبي(٥) حيث لا يتم إنصاف الأجنبي أبداً حتى لو كانت حجته داحضة .

ويلاحظ أيضاً عدم التزام القضاء السعودي بهدي رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده في الاحتياط الشديد إزاء إقامة الحدود **فعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ.** (سنن الترمذي – كتاب الحدود)

---

(٥) لولا الإطالة لأرفقت مع هذا الكتاب نموذجا لحكمين في قضيتين إحداهما طرفها مواطن سعودي والأخرى طرفها أجنبي وظروف القضيتين متشابهة في أن كل منهما له مستحقات مالية لدى نفس الجهة الحكومية فتم الحكم للأول برد مستحقاته إليه رغم ضعف المستندات المؤيدة لحقه، ولم يحكم للثاني الذي يملك مستندات وحججا قوية تؤيد حقه .

ونحن نرى على سبيل المثال إسراف القضاء السعودي في إصدار أحكام الإعدام في قضايا تهريب المخدرات (بناءً على فتوى مشكوك فيها) رغم وجود شبهات ومخارج متعددة يمكن للقضاء الأخذ بها لتعطيل تنفيذ هذه العقوبة خصوصاً أنها ليست حداً من حدود الله كما ذكرنا آنفاً .

ثامناً: نظرة الوهابيين إلى الأجنبي في بلادهم:

يرى أكثرهم إنهم أفضل من سواهم مع أن الله سبحانه وتعالى قال :

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " (الحجرات:١٣)

ومع ذلك يرون أنهم وحدهم على حق وغيرهم على الباطل وإنهم وحدهم أهل توحيد وغيرهم يعيشون على البدع والخرافات التي تصل بهم إلى حد الشرك أحياناً، وهذا ما زاد نظرتم إلى الغريب سوءا وظنوا أن الناس قسمان أهل توحيد وهم أهل منطقتهم وأهل شرك وهم كل ما عداهم لا فرق في ذلك بين مسلم وأوروبي بل زاد الأمر عن ذلك حتى ظنوا أن الأوروبي يحمل علما ولا دين له ، والمسلم لا يحمل علما ويحمل دينا محرفاً مشوها أقرب إلى الشرك لذا كان تفضيله الأول على الثاني في مجال العمل والمرتب تفضيلاً كثيراً ... وإذا كان الغريب مسلماً فإنهم يفسرون أعماله كلها حتى العبادات على

إنها رياء ونفاق من أجل الإفادة من المال الذي يجنيه بنفاقه في بلادهم، ولا يرون – مع الآسف- غضاضة في أن يدفعوا المال جزافاً إلى من يخالفهم فكرة أو عقيدة أو تصوراً مهما أساء وشذ، ويضنون بكل ريال يدفعونه للذي يتفقون معه في كل شيء[٦] – لأنهم يرون أن المسلمين في أشد الحاجة إلى المال، لذا فيجب عليهم أن يقبلوا بالفتات.

---

(٦) ولهذا صدر لأحدهم كتاب " ثعلبة بن حاطب الصحابي الجليل المفترى عليه " ينفي عنه أنه هو المقصود بقوله تعالى: " وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ " (التوبة ٧٥-٧٦) وما هذا إلا لإحساسهم الدفين بأنهم بخلوا بعدما أغناهم الله من فضله ، وهذا النفي لا يزيل عنهم هذه الصفة لأنه لا عبرة بالخصوص في هذه الآية فلو ثبت فعلاً أن " ثعلبة بن حاطب " ليس هو المقصود فسيظل المقصود شخص آخر لن يفيد معرفة أسمه ، علما أنه ورد في معظم تفاسير القران قصة هذا الرجل بالتفصيل ، فقال ابن كثير (يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين ، فما وفى بما قال ولا صدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة عياذاً بالله من ذلك ، وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير هاهنا ، وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقني مالاً قال : فقال رسول الله ﷺ : " ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه " قال : ثم قال مرة أخرى فقال: " أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ـ فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت " قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله ﷺ "

اللهم ارزق ثعلبة مالاً" قال فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ: " ما فعل ثعلبة ؟ " فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره ، فقال : " يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ".

وأنزل الله جل ثناؤه " خذ من أموالهم صدقة " الآية ، ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما: " مرا بثعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذا صدقاتهما " فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ ، فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بهما ، فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك ، فقال: بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لله ، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال : "يا ويح ثعلبة" قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي ، فأنزل الله عز وجل " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن " الآية ، قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال: "ويحك إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك " فجعل يحثو على رأسه التراب ، فقال له رسول الله ﷺ " هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني" فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها .

تاسعاً: فتاوى الوهابيـــة:

كل إنـــاء ينضح بما فيه، ولقد ظهر نضـــح الوهابيـــة فـــي فتاواهم. وأبرزها الإفتاء بقتل من يقوم بجلب مخدرات إلـــى الـــبلاد، وكل من يسافر على الخطوط الجوية السعودية يجد في صدر بطاقـــة الوصول " تحذير بأن القتل عقوبة جلب المخدرات"، واني لا أدافـــع عن جالبي المخدرات فإنها جريمة بشعة، ولكنها لا ترقي إلي جرائم قطاع الطرق الذين يروعون الآمنين ويسرقون بالإكراه ويقتلون فهم المقصودين في آية المحاربة بقوله تعالى:

" إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُـــولَهُ وَيَسْـــعَوْنَ فِـــي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِـــلافٍ أَوْ

فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟ فقبض ولم يقبلها ، فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال: اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان ، وقوله تعالى: " بما أخلفوا الله ما وعدوه " الآية ، أي أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " وله شواهد كثيرة ، والله أعلم ، وقوله: " ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم " الآية ، يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى ، وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم ، لأنه تعالى علام الغيوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن) .

يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِـرَةِ عَـذَابٌ عَظِيمٌ " (المائدة ٣٣)

أما الأول فلا تنطبق عليه الآية الكريمة بل يعتبر خارجاً عن القانون فقط ولا يصح أن تكون عقوبة الشروع في عمل خارج عن القانون القتل ، لأن الشرع حدد عقوبة القتل في ثلاث حالات فقط لا رابع لها وتدخل المحاربة في إحداها **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ .** صحيح البخاري- كتاب الديات

وهناك عقوبات كثيرة جداً دون القتل لردع جالبي المخدرات، وهي ما يطلق عليها العقوبات التعزيرية وحسب قواعد علم الأصول لا يجوز أن تزيد العقوبة التعزيرية عن "عقوبة الحد" أبداً .

فإذا علم بعد ذلك أن هذه العقوبة لا تطبق بأي حال من الأحوال على مواطني الدول الغربية مثل أمريكا وبريطانيا مثلاً حيث يتلاحظ أن القضاء لا يحكم على مواطني هذه الدول بالقتل أبداً ، ولكن ما دونه مباشرة لكي تعطي الفرصة لدولهم بالتدخل ثم العفو عنهم بعد ذلك بأمر ملكي ، وهذا أمر مشاهد ومعلوم وله أمثلة كثيرة نقلته وسائل الأعلام المختلفة ، ولا يحتاج إلى دليل لإثباته.

ومن أعجب الأعاجيب أنه في الوقت الذي تتجرأ فيه دار الإفتاء بإصدار فتوى بالقتل والتكفير، تتحرج أشد الحرج من إصدار

فتاوى عن مسائل بسيطة للغاية خشية الاصطدام باللوائح والقوانين الخاصة بالتعامل مع الأجانب والمتعاقدين التي ما أنزل الله بها من سلطان ومن هذه المسائل على سبيل المثال:

* شرعية ترحيل المتعاقد إلى بلده بعد انتهاء عقده حتى لو كان له دعوى في المحكمة الشرعية ويلزمه حضور جلساتها.
* شرعية عدم منح تأشيرة زيارة للذين عادوا إلى أوطانهم ويرغبون متابعة قضاياهم التي مازالت تحت النظر بالمملكة .
* شرعية اشتراط الجهات التي تقوم بإبرام عقود الوكالة بأن يكون الوكيل سعودي الجنسية .
* شرعية رفض طلبات استقدام الزوجة والأولاد لمرافقة عائلهم .
* شرعية تقييد أداء العمرة للأجانب العاملين بالمملكة وشرعية اشتراط موافقة الكفيل أولاً .

وبذلك فان المتحرجين عن الفتوى في هذه المسائل أدخلوا أنفسهم في دائرة الآثم وحق عليهم قوله تعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ".

(البقرة ١٧٤)

عاشراً: الوهابية والآثار الإسلامية:

ليس هناك أمة من الأمم إلا وكان حفظ آثار أسلافها أمرا معنى به، وليس هناك أمة لها من الآثار والمفاخر كأمتنا الإسلامية فكانت أثارنا الإسلامية اندماجاً رائعاً بين الآثار بما هي آثار مادية، وبين دلالاتها الإنسانية والحضارية ، ولعله أروع ما في آثارنا موضع ولادة خير البشر سيدنا محمد ﷺ ، ولكن الوهابيون يعللون هدم تلك الآثار بعلل دينية مزعومة وبأن غايتهم في كل ذلك هو التوحيد وتخليص المسلمين من البدع والشركيات حسب زعمهم، ولهم العذر في ذلك بسبب فساد عقيدتهم التي أشربوا فيها التجسيم كما سنذكر لاحقاً ، لذا فالشبهة عندهم قائمة في عبادة الشخصيات الإسلامية العظيمة ، فكانوا أشد الحرص على طمس أي آثار لهم للتخلص من هذه الشبهة ، التي لا توجد إلا في مخيلتهم ، ولم يعلموا أن الله سبحانه وتعالى حث على السير في الأرض في آيات كثيرة للنظر في عاقبة الأمم السابقة[٧] التي كذبت رسلها ومن ذلك قوله تعالي: " **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** " آل عمران ١٣٧ " ولا يمنع هذا من النظر أيضاً في أثار الصالحين للذكرى والاقتداء بهم .

---

[٧] راجع الآيات آل عمران ١٣٧- الأنعام ١١- يوسف ١٠٩- النحل ٣٦- النمل ٦٩- الروم ٩،٤٢- العنكبوت ٢٠- فاطر ٤٤- غافر ٢١،٨٢- محمد ١٠.

وهناك شاهد من السنة **فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ "** صحيح مسلم -كتاب الفضائل

ولو أنهم اعتقدوا العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة التي سنذكرها لاحقا لما ظهرت لهم هذه الشبهة من الأساس .

الآثار المهدمة من قبل الوهابية في مكة المكرمة:

١-موضع مولد الرسول ﷺ فقد كان مبنى عليه مسجد، وعندما حدثت تلك المصيبة العظمى بتسلط الوهابية على الأرض المقدسة أهملوه عمدا ، وتم بناء مكتبة فوق هذا الموضع المبارك، ولكن اليوم فان هذا الأثر المبارك قد اندثر بعد أن تم هدم المكتبة و تدمير الأساسات الباقية للبيت الأصلي الذي بناه الفاطميون فوق البقعة المباركة قبل قرون .

٢- قبر آمنة بنت وهب أم النبيﷺ ويقع في المقبرة القديمة في محلة المعلاِ، وقد كان هذا القبر مغطى بحجر حفرت فيه بعض الآيات القرآنية بخط كوفي قديم.

٣-قبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ويوجد قبرها في مقبرة محلة المعلا أيضاً، وقد هدم الوهابيون القبة التي كانت مشيدة عليه.

٤-موضع مولد أبي بكر الصديق والأمام على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم.

الآثار المهدمة في المدينة المنورة:

١- مقبرة البقيع الخالدة وهي أول مقبرة إسلامية أسسها رسول الله ﷺ ضمت عشرة آلاف صحابي على ما قيل، فيما عدا التابعين وقد كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يذهب إلى البقيع ويستغفر للموتى فيها.. إلا أن الوهابية نالت من هذا المكان الخالد وعبثت به أيما عبث فهدمت القباب وساوت القبور بالأرض وحولت المقبرة من روضات كان يطلق عليها جنة البقيع إلى أكوام من الحجارة والتراب.

ولقد أراد الوهابيون هدم القبة المقامة على قبر رسول الله ﷺ ولكن غضب المسلمين الذي سبق أي فعل لهم في هذا الاتجاه جعلهم يخشون العواقب ، كما أن مسلمي الهند ومصر وإيران قد أرسلوا الوفود والبرقيات والرسائل الرسمية والأهلية تطالب الملك عبد العزيز بتوضيح الأمر مما جعله يوقف الوهابيين عن التعرض للقبة الشريفة.

وإلى هذا اليوم يتألم الوهابيون على عدم هدم القبة الشريفة لأنها

تخالف الشرع (على حسب زعمهم) فيقول أحد زعماءهم " نحن لا ننكر أن بقاء القبة التي على قبر الرسول مخالفة لما أمر به ، وإن إدخال قبره في المسجد أشد أثماً وأعظم مخالفة!! "

٢- الألواح الحجرية على القبور: ومن المعلوم أن جميع الشعوب تضع الشواهد على قبور موتاها وتكتب أسماءهم كي يعُرف المدفون فيها من قبل الناس وهي من بديهيات الحياة ومعقولاتها، أما

شرعاً فلا نعرف أن هناك من أئمة المسلمين من يمنع من تسجيل اسم الميت على قبره كي يعرفه زواره.

٣- قبور شهداء أحد رضى الله عنهم مثل مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش رضى الله عنهما فقد هدمها الوهابيون وخربوها إلا إنهم لم يعبثوا بمقبرة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه.

٤- قبر عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول صلى الله وقبر حليمة السعدية رضى الله عنها ، وقبور عمات الرسول أزيلت مع ما أزيل من القباب.

٥- قبر أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ومشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ومشهد محمد ذي النفس الذكية .

التصدي لأي محاولة لإحياء الآثار الإسلامية:

نكتفي بذكر هذا التعليق بلا تعليق على محاولة لإعادة بناء القبة على بئر الخاتم بالمدينة المنورة : " من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة سماحة الوالد شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وفقه الله ونصر به دينه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: *أما بعد : ففي هذه الأيام بلغني أن هناك حركة في بلدية المدينة المنورة لإعادة بناء القبة على بئر الخاتم المعروفة غربي مسجد قباء ثم ثبت عندي صحة ذلك من طرق يوثق بها فاتصلت بسمو أمير المدينة وأخبرته أن هذا لا يجوز، وأن الواجب بقاؤها على حالها أو دفنها*

ومساواتها بالأرض سعة للميدان الذي هي في وسطه وهو موقف للسيارات التاكسي وغيرها.

ثم اتصلت بفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وأخبرته بما بلغني فتكدر لذلك ، وكتب لسمو أمير منطقة المدينة في الموضوع، وإلى سماحتكم صورة ما كتبه، وإذا رأى سماحتكم الاتصال بجلالة الملك والمشورة عليه بأن الواجب دفنها سعة للميدان وحسما لمادة التبرك بها من أهل الجهل فهو مناسب وفيما يراه سماحتكم إن شاء الله كفاية.

سدد الله رأيكم وبارك في جهودكم ونصر بكم دينه وحمى بكم شريعته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صدر من مكتب سماحته بتاريخ ١٨/١١/١٣٨٨ هـ برقم ١/٩٤١٢

الفصل الثاني

عقيـــدة الــوهــابيــة
في صفات الله سبحانه وتعالى

لقد خالف الوهابيون جمهور الأمة الإسلامية فـــي تصـــورهم لصفات الله سبحانه وتعالى بسبب أخذهم آيات القرآن في الصفات على ظاهرها ولم يفقهوا أن هذه الصفات لها تأويل ولكن لا يعلمـــه إلا الله بمقتضى قوله سبحانه وتعالى: " **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْـــغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**" (آل عمران٧) ومن ذلك:

١- نسبتهم الجلوسَ والقعودَ والاستقرارَ والثِقَلَ والوزنَ والحجم إلى اللهِ تعالى والعياذُ باللهِ :

وإليكَ طائفةٌ من أقوالِهم، ففي كتابِ "مجموعِ الفتاوى" المجلدِ الرابعِ- ص/٣٧٤ لابنِ تيميه الحرَّاني الذي يعتبرُهُ الوهابيةُ أتباعُ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ إمامَهم يقولُ ما نصُهُ: " إن محمدًا رسولَ اللهِ يجلِســه ربُهُ على العرشِ معهُ. "

اعلم أن لفظةَ الجلوسِ لم يرد إطلاقُها على اللهِ لا فــي القــرءانِ ولا الحديثِ، إنما هي من بِدَعِ ابنِ تيميه وأتباعِهِ.

- وفي كتابِ ردّ الدارِميِّ (عثمان بن سعيد الدارمي وهذا المشبه توفي سنة ٢٨٢ هجرية، وهو غير الإمام الحافظ السني أبي محمد عبد الله بن بهرام الدرامي رحمه الله صاحب كتاب السنن الذي توفي ســنة ٢٢٥ هجرية، فليتنبه لهذا) على بِشر المريسي-طبــعُ دارِ الكتــبِ العلميةِ ص/٧٤ بتعليقِ محمدِ حامدِ الفقي يقول المؤلف الدارميُّ: إن كرسيَّهُ وَسِعَ السمواتِ والأرضَ، وإنَّه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع ، وإن له أطيطاً كأطيطِ الرَحلِ الجديدِ إذا رَكِبَهُ من يُثقِلَهُ "وهذا الكتابُ يعتمدُهُ الوهابيةُ. وفي ص/٨٥ منَ الكتابِ المذكورِ سابقًا يقولُ الدارِميُّ والعياذ باللهِ : "وقد بلغنا أنهم حينَ حملوا العرشَ وفوقَهُ الجبارُ في عزتِهِ وبهائِهِ ضعفوا عن حملِهِ واستكانوا وجثــوا على رُكبِهِم حتى لُقنوا لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ فاستقلوا بهِ بقدرةِ اللهِ وإرادتِهِ، ولولا ذلكَ ما استقلَّ به العرشُ ولا الحملــةُ ولا الســمواتُ ولا الأرضُ ولا من فيهنَّ، ولو قد شاء- يعني الله - لاستقرّ علـــى ظهرِ بعوضةٍ فاستقلت بهِ بقدرتِهِ ولُطفِ ربوبيتِهِ فكيفَ على عــرشٍ عظيمٍ."

- وفي كتابِ "طبقاتِ الحنابلةِ" الجزءُ الأولُ من طبعةِ دارِ الكتــبِ العلميةِ - الطبعةُ الأولى١٩٩٧ لمؤلفهِ أبي يَعْلى المجسّــمِ الــذي يستشهدُ الوهابيةُ بكلامهِ يقولُ ص/٣٢: "واللهُ عــز وجــلَّ علـــى

العرشِ والكرسيّ موضعُ قدميه"، وفي كتابِ "معارجُ القَبولِ" تأليفُ حافظ الحكمي علَّقَ عليهِ صلاح عويضة وأحمدُ القادري -الطبعة الأولى طبعةُ دارِ الكتبِ العلميةِ الجزءُ الأولُ ص/٢٣٥ يقولُ:" قالَ النبيُّ: إن اللهَ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا ولهُ في كلِ سماءٍ كرسيٌ، فإذا نزلَ إلى السماءِ الدنيا جلسَ على كرسيَهِ ثم مدَّ ساعِدَيْه، فإذا كانَ عندَ الصبحِ ارتفعَ فجلسَ على كرسيِّهِ "

٢ -نسبتهم الشكل والصورة إلى الله والعياذ بالله :

- ففي كتابِ" عقيدةِ أهلِ الإيمانِ في خلقِ أدمَ على صورة الرحمنِ" تأليف حمود بن عبد الله التويجري، وفيه تقريظٌ كبيرٌ لابنِ باز، طبعُه دارِ اللواءِ الرياضِ- الطبعةُ الثانيةُ يقولُ المؤلفُ ص/١٦: "قالَ ابنُ قتيبةَ: قرأتُ في التوراةِ: إن اللهَ لما خلقَ السماءَ والأرضَ قالَ: نخلقُ بشرًا بصورتِنا"..

- وفي ص/٢٧: يقول المؤلف: "قالَ رسولُ اللهِ : فإن صورةَ وجهِ الإنسانِ على صورةِ وجهِ الرحمنِ."

٣ - نسبتهم الوجه الجارحة إلى الله والعياذ بالله :

وعلى هذا مشايخُ الوهابيةِ وأسلافهم المشبهة المجسمة كابنِ تيميه ومحمدِ بنِ عبدِ الوهابِ وابنِ بازٍ والعثيمين ، وإليكَ نصُ عباراتِهم:

- ففي كتابِ ردِّ الدارميِّ على بشرٍ المريسيِّ السابقِ ذكرُهُ ص/١٥٩ يقولُ المؤلفُ: " كلُ شيءِ هالكٌ إلا وجه نفسِهِ الذي هو أحسن

الوجوهِ وأجملُ الوجوهِ وأنورُ الوجوهِ وإن الوجهَ منهُ غيرُ اليـــدينِ، واليدينِ منهُ غيرُ الوجه."

٤- نسبتهم الصوت إلى الله والعياذ بالله :

- ففي كتاب "مجموع الفتاوى" - المجلد الخامس ص/ ٥٥٦ يقولُ ابن تيميه والعياذ بالله "وجمهور المسلمين يقولون إن القــرءان العربـــي كلام الله، وقد تكلم به بحرف وصوت" .

- وفي حاشية الكتاب المسمى "كتاب التوحيد" لابن خزيمة طبـــع دار الدعوة السلفية ص/١٣٧ يقول محمد خليل هراس المعلق على هـــذا الكتاب إن معنى "...مِن وَرَاء حِجَابٍ " (الشورى ٥١) "يعني تكليمًا بلا واسطة لكن من وراء حجاب فيسمع كلامه ولا يرى شخصه."

- وفي ص/١٣٨ يقولُ المعلقُ أيضًا: "وإن كلامه حروف وأصـــوات يسمعها من يشاء من خلقه."

- وفي ص/ ١٤٦ يقول المعلّق أيضا "يسمعون صوته عـــز وجـــل بالوحي قويًا له رنين وصلصلة ولكنهم لا يميزونه، فـــإذا ســـمعوه صعقوا من عظمة الصوت وشدته."

- وفي الكتاب المسمى " فتاوى العقيدة " لمحمد بن صالح العثيمـــين، طبع ما يسمى مكتبة السّنة الطبعة الأولـــى ١٩٩٢ بمصـــر يقـــول ص/٧٢: في هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت، لأن أصـــل القول لا بد أن يكون بصوت، ولو كان قولا بالنفس لقيده الله كمـــا

قال تعالي"..وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ..(المجادلة ٨) فـــإذا أطلق القول فلا بد أن يكون بصوت."

فائدة هامة : اعلم أن الحافظ البيهقي قال: " لم يصـــح مـــن أحاديـــث الصوت شيء"، وألف الحافظ المقدسي جزءًا فـــي إبطـــال أحاديـــث الصوت تتبعها حديثًا حديثاً وبيّن وجه ضعفها .

٥ – نسبتهم الفم واللسان إلى الله والعياذ بالله:

– ففي كتاب " الأسماء والصفات" لابن تيميه الجـــزء الأول ص/٧٣ يقولُ ابنُ تيميه في معرضِ ردِهِ على الجهميةِ: "وحـــديثُ الزهـــريُّ قال: لما سمعَ موسى كلامَ ربهِ قال: يا ربِ هذا الذي ســـمعتُه هـــو كلامُكَ ؟ قالَ: نعم يا موسى هو كلامي وإنما كلمتُك بقـــوة عشـــرةِ آلاف لسانٍ".

ــ وفي كتابِ ردِ الدارمي على بشرٍ المريسي الســـابق ذكـــرُه يقـــولُ الدارميُّ ص/١١٢ عنِ اللهِ تعالى: " إن الكلامَ لا يقومُ بنفسِـــهِ شـــيئًا يُرى ويُحسُّ إلا بلسانٍ متكلمٍ به".

– وفي كتابِ طبقاتِ الحنابلةِ لأبي يعلى المجسّم الجزء الأول طبعـــةِ دارِ الكتبِ العلميةِ ص/٣٢-٣٣ يقولُ: "وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا مـــن فيهِ – يعني فمه ــ وناولَهُ التوراةَ من يدِهِ إلى يدِهِ"..

ــ وفي كتابِ ردِ الدارمي على المريسي ص/١٢٣ يقـــولُ المؤلـــف: "وهو يعلمُ الألسنةَ كلها ويتكلمُ بما شاءَ منها، إن شاءَ تكلمَ بالعربيـــةِ

وإن شاءَ بالعبريةِ وإن شاءَ بالسُريانية ، وعلى هذا المنوال كما رأيت نسج الوهابية من زعيمهم ابـن تيميـه وأسـلافِهم المشـبهة إلـى المعاصرينَ لنا في هذه الأيامِ .

٦ - نسبتهم التغير والحدوث إلى الله وإلى صفاته :

- ففي كتاب "جهالاتٍ خطيرةٍ في قضايا اعتقاديه كثيرة" طبع ما يسمّى دار الصحابة ص/١٨ يقولُ مؤلفه وهو عاصم بنُ عبدِ اللهِ القَريوتي في تفسيرِ الاستواءِ على العرشِ ما نصُهُ: "صعدَ أو علا: ارتفـعَ أو استقرَّ ولا يجوزُ المصيرُ إلى غيرِهِ."

ويقولُ محمد زينو في كتابِهِ المسمى مجموعةَ رسـائلِ التوجيهـاتِ الإسلاميةِ لإصلاحِ الفردِ والمجتمعِ طبعُ دارِ الصُـمَيعِيِّ الريـاض ص/٢١: " إن اللهَ فوقَ العرشِ بذاتِهِ منفصلٌ من خلقِهِ."

-وفي الكتابِ المسمى السُنة طبعُ ونشرُ وتوزيـعُ رئاسـاتِ البحـوثِ والإفتاءِ والدعوةِ الوهابية ص/٧٦ يقولُ المؤلفُ: " إن اللهَ يقظان لا يسهو يتحركُ ويتكلمُ."

ـ وفي كتابِ ردِ الدرامي المذكور سابقًا ص/٧٥ يقولُ: "ولـو قـد قرأتَ القرءانَ وعقلتَ عن اللهِ معناهُ لعلمتَ يقينًا أنهُ يدرك بحاسـةٍ بيِّنةٍ في الدنيا والآخرة فقد أدركَ موسى منه الصـوتَ فـي الـدنيا والكلامُ هو أعظمُ الحواسِ."

٧ - نسبتهم اليد والساعد والكف والأصابع واليمين والشمال إلى الله على زعمهم جوارح حقيقية والعياذ بالله.

- ففي كتابِ ردِ الدارمي على بشيرٍ المريسي السابقِ ذكرُهُ ص/٢٦ يقولُ الدارميُّ المجسمُ: " فأكدَ اللهُ لآدمَ الفضيلةَ التي كرّمه وشرّفه بها وءاثره على جميعِ عبادِهِ إذ كلُ عبادِهِ خلقهم بغيرِ مسيسِ بيد وخلق ءادمَ بمسيسٍ."

- ص/٣٠ يقولُ هذا المشبهُ: " فلما قالَ خلقتُ أدمَ بيديَّ علمنا أن ذلكَ تأكيدٌ ليديهِ وأنه خلقهُ بهما."، ص/٣٥ يقولُ هذا المجسمُ: "عن ميسرة قال: إن اللهَ لم يمسّ شيئًا من خلقهِ غيرَ ثلاثٍ: خلقَ أدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيده، وغرس جنةَ عدنٍ بيده."

- وفي حاشيةِ الكتابِ المسمى "كتابَ التوحيد" لابنِ خزيمةَ يقولُ محمدُ خليل هرَّاس المعلِق على هذا الكتاب ص/٦٣: "فإن القبضَ إنما يكونُ باليدِ الحقيقةِ لا بالنعمةِ، فإن قالوا إن الباء هنا للسببية أي بسببِ إرادتِهِ الإنعامِ، قلنا لهم: بماذا قبضَ فإن القبضَ محتاجٌ إلى آلةٍ، فلا مَنَاصَّ لهم لو أنصفوا من أنفسهم إلا أن يعترفوا بثبوتِ ما صرَّحَ به الكتابُ والسنةُ.

- وفي ص/٦٤ يقولُ المعلقُ أيضًا: "هذهِ الآية صريحةٌ في إثباتِ اليدِ فإن اللهَ يخبرُ فيها أن يدَهُ تكونُ فوقَ أيدي المبايعين لرسولِهِ ولا شكَّ أن المبايعةَ إنما تكون بالأيدي لا بالنعمة ولا بالقدرة.

- وفي كتابِ "فتاوى العقيدة" لمحمد بن صالح العثيمين طبع ما يسمى مكتبة السّنة – الطبعة الأولى ص/٩٠ يقولُ هذا التائهُ": وعلى كلٍ فإن يديهِ سبحانه اثنتانِ بلا شك، وكل واحدةٍ غيرُ الأخرى، وإذا وصفنا اليدَ الأخرى بالشمالِ فليسَ المرادُ أنها نقصٌ من اليدِ اليمنى."

٨–نسبتهم الرجل والعين على معنى الجارحة إلى الله والعياذ بالله:

- ففي الكتابِ المسمى "فتاوى العقيدة" لمحمد بن صالح العثيمين ص/١١٢ يقولُ: " إن اللهَ يأتي إتيانًا حقيقيًّا للفصل بين عباده يوم القيامة علي الوجه اللائق ثم قالِ "وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالي يأتي هرولة "، ويقولُ في ص/١١٤: " فإن ظاهره ثبوتُ إتيانِ اللهِ هرولَة وهذا الظاهرُ ليسَ ممتنعًا على اللهِ فيثبتُ للهِ حقيقةً".
- وفي الكتابِ المسمى "عقيدة أهلِ السنة والجماعة"طبعُ مؤسسةِ قرطبة الأندلس ص/١٤-١٥ يقولُ ابنُ عثيمينَ المشبه:"ونؤمنُ بأن للهِ عينين اثنتين حقيقيتين"، ويقول: "وأجمعَ أهلُ السنةِ على أن العينينِ اثنتانِ".

٩- نسبتهم المكان والجهة والحد والتحيّز إلى الله والعياذ بالله:

وهاكم الآن بعضًا من أقوالِ الوهابيةِ الفاسدةِ مما يتضمنُ وصفَ اللهِ بالمكانِ والجهةِ والحدِ والتحيزِ تعالى اللهُ عن ذلكَ".

- في كتابِ "شرح نونية ابن القيم" لمحمد خليل هرّاس ص/٢٤٩ يقولُ: "وهو صريحٌ في فوقيةِ الذاتِ لأنهُ ذكرَ أن العرشَ فوقَ

السماوات وهي فوقية حسيَّة بالمكانِ فتكونُ فوقية اللهِ على العــرشِ كذلكَ، ولا يصح أبدًا حملُ الفوقيةِ هنا على فوقيةِ القهرِ والغلبةِ".

- وفي كتابِهِ "بيانُ تلبيس الجهمية" ص/٤٢٧، وكتابُ "منهاج الســنة" ص/٢٩-٣٠ الجزء الثاني يقولُ ابنُ تيميه نقلاً عن المجسم عثمــان بن سعيد الدارمي موافقًا له ما نصه: "وقد اتفقت الكلمةُ من المسلمينَ والكافرينَ على أن اللهَ في السماءِ وحدّوهُ بذلكَ".

وفي كتابِ "تفسير آية الكرسي" للعثيمين ص/٣٣ يقولُ هذا المشبه: " فأما علو الذات فهو أن اللهَ عالٍ بذاتهِ فوقَ كلِ شيء وكلُ الأشــياءِ تحتهُ واللهُ عز وجلَ فوقَها بذاته". فلا يخفى على ذي لُبٍ وفهــمٍ أن عقيدةَ أهلِ السنةِ على خلافِ ما عليهِ هؤلاءِ المــدعونَ النجــديونَ التيميونَ حيثُ يجبُ بإجماعِ أهلِ الإسلامِ تنزيــهُ اللهِ عــنِ المكــانِ والجهةِ والتحيزِ .

١٠ - نسبتهم الوصف الذي لا يليق بالله سبحانه وتعالى:

- ففي كتابِ "فتاوى العقيدة" للعثيمين طبعُ ما يســمى مكتبــة الســنة ص/٥٠ يقولُ:" لا يوصفُ اللهُ بالمَكرِ إلا مقيدًا، فإن قيلَ كيفَ يوصفُ اللهُ بالمكرِ مع أن ظاهرَهُ أنه مذموم قيل إن المَكرَ في محلهِ محمودٌ."، وفي ص/٥١ يقولُ: "إن الله لهُ مَلَلٌ وأما مللُ اللهِ فإنهُ مللٌ يليقُ بهِ عزَّ وجلَّ." ، وفي ص/٥٢ يقولُ" :وأما الخداعُ فهو كالمكرِ يوصفُ اللهُ بهِ حينَ يكونُ مدحًا."

-وفي ص/٢٣٨ يسمي اللهَ جسمًا فيقولُ:" قد يـرادُ بلفظِ الجسمِ والمتحيزِ: ما يشارُ إليهِ، بمعنى أن الأيدي ترفعُ إليهِ في الدعاءِ."

-وفي الكتاب المسمى "قرة عيون الموحدين" لحفيد محمد بن عبد الوهاب ص/١٧٦ يقولُ: "وضحكُ اللهِ أصلٌ وحقيقةٌ للضحكِ كما يشاء." ، وفي ص/١٧٨ منه يقولُ: "ولكنا نقولُ هو نفسُ الضَحك."

من تعبد الوهابية ؟!!

يُعلم مما تقدمَ أن الوهابيةَ يعبدونَ جسمًا يزعمونَ أنه الله ، ويسمونه شخصًا ويقولونَ له وجهٌ حقيقيٌ وفمٌ ولسانٌ، وأنه يضحكُ حقيقةً ويتأذى، وله مللٌ، ويوصفُ بالمكرِ والخداعِ، وله يمينٌ وشمالٌ عندَ بعضِهم، وعلى قولِ بعضهم له يمينٌ دونَ الشمالِ. ويصفونَهُ بالجَنبِ الواحدِ والأعينِ المتعددة، وعلى قولٍ عندهم عينٌ واحدةٌ فقط، وينعتونه بالمشي والمجيء والهرولة حسًّا وحقيقةً، والنزولِ حقيقةً من الأعلى والصعودِ والارتفاعِ من الأسفلِ إلى الأعلى، والقعودِ والجلوسِ على العرشِ، وأن له قدمينِ يحتاجُ على زعمهم للكرسي ليضعهما عليه.

وكذلكَ يصفونَ اللهَ بالجوارحِ كالكفِ والأصابعِ المتعددةِ والذراعِ والساعدِ، ويعتبرونَهُ ساكنًا ومتحركًا هابطًا وصاعدًا، وأنهُ لو شاءَ لاستقرَّ على ظهرِ بعوضةٍ، وأنهُ ينزلُ بذاتِه حقيقةً من العرشِ إلى السماءِ. والحقيقةُ أن الوهابيةَ يعبدونَ جسمًا تخيلوهُ قاعدًا فوقَ العرشِ، فهم عبدةُ الصورِ والأجسامِ والوهمِ والخيالِ ، وأنظر إن شئت فتاوى

ابن تيميه ج٥/ص٢٢٠، حيث ذكر بالحرف الواحد في سياق حديثه عن فتنة بني إسرائيل في اتخاذهم العجل "...*الوجه الثالث وهو أنه سبحانه قال ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فلم يذكر فيما عابه به كونه ذا جسد ولكن ذكر فيما عابه به أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ولو كان مجرد كونه ذا بدن عيبا ونقصا لذكر ذلك فعلم أن الآية تدل على نقص حجة من يحتج بها على أن كون الشيء ذا بدن عيبا ونقصا وهذه الحجة نظير احتجاجهم بالأفول فانهم غيروا معناه في اللغة وجعلوه الحركة فظنوا أن إبراهيم احتج بذلك على كونه ليس رب العالمين ولو كان كما ذكروه لكان حجة عليهم لا لهم* ......"

ومعَ ذلكَ يُطلقونَ على أهلِ السنةِ والجماعةِ أنهم مشركون وثنيونَ قبوريون، في حين أنهم أي أهلُ السنةِ والجماعةِ هم الموحدون لربهم العارفونَ بهِ المنزهونَ له عن كلّ ما نسبت الوهابيةُ المجسّمةُ إلى اللهِ من صفاتِ النقص .

عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله سبحانه وتعالى:

اعلمْ أنَّ عقيدةَ المسلمينَ سلَفًا وخلفًا بلا شكٍّ ولا رَيبٍ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى هو خالقُ العالَمِ، قائمٌ بنفسِهِ مستغنٍ عن كلِ ما سواهُ، فكلُنا نحتاجُ إلى اللهِ ولا نستغني عنهُ طرفةَ عينٍ، واللهُ تعالى لا يحتاجُ لشيء من خلقِهِ، ولا ينتفعُ بطاعاتِهِم ولا ينضرُّ بمعاصيهم، ولا يحتاجُ ربُنا إلى محلٍ يَحُلُّهُ ولا إلى مكانٍ يُقلِّهُ، وأنهُ ليس بجسمٍ ولا جوهرٍ،

واعلمْ أن الحركةَ والسكونَ والذهابَ والمجيءَ والكونَ في المكانِ، والاجتماعَ والافتراقَ، والقربَ والبعدَ من طريقِ المَسافةِ، والاتصالَ والانفصالَ، والحجمَ والجِرْمَ، والجثةَ والصورةَ والشكلَ والحيِّزَ والمِقدارَ والنواحيَ والأقطارَ والجوانبَ والجهات كلَّها لا تجوزُ عليهِ تعالى لأن جميعَها يُوجِبُ الحدَّ والنهايةَ والمقدارَ ومن كانَ ذا مقدارٍ كانَ مخلوقًا، قال تعالى: " ... وكلُّ شيء عندَهُ بِمِقدارٍ " (الرعد ٨)

واعلمْ أن كلَّ ما تُصُوِّرَ في الوهمِ من طولٍ وعرْضٍ وعمقٍ وألوانٍ وهيئاتٍ يجبُ أن يُعتقدَ أن صانعَ العالمِ بخلافهِ أي لا يشبهه، وأنه تعالى لا يجوزُ عليهِ الكيفيةُ ولا الكميةُ ولا الأبنيةُ لأن مَن لا مثلَ له لا يجوزُ أن يُقالُ فيهِ كيفَ هو، ومن لا عددَ لهَ لا يجوزُ أن يقالَ فيه كم هو، ومن لا أولَ لهُ لا يُقالُ فيهِ ممَّ كانَ، ومن لا مكانَ لهُ لا يقالُ فيهِ أين كانَ، فإن الذي أيَّنَ الأينَ لا يقالُ لهُ أينَ، والذي كيّفَ الكيفَ لا يُقالُ له كيف.

فاللهُ تعالى مقدَّسٌ عنِ الحاجاتِ، منزَّهٌ عن العاهاتِ، وعن وجوه النقصِ والآفاتِ، متعالٍ عن أن يُوصَفَ بالجوارحِ والآلاتِ، والأدواتِ والسكونِ والحركاتِ، لا يليقُ به الحدودُ والنهاياتُ، ولا تحويهِ الأرضونَ ولا السماوات، ولا يجوزُ عليهِ الألوانُ والمماسّاتُ، ولا يجري عليهِ زمانٌ ولا أوقاتٌ، ولا يلحقُهُ نَقصٌ

ولا زياداتٌ، ولا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدعاتِ، موجودٌ بلا حدٍ، موصوفٌ بلا كيفٍ، لا تتصورُهُ الأوهام، ولا تُقدّرُهُ الإفهام، ولا يُشبهُ الأنام، بل هو الموجود الذي لا يشبهُ الموجوداتِ، واحدٌ في ملكِهِ فلا شريكَ له.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى خالقُ العالمِ بأسرِهِ عُلويّهِ وسُفليِّهِ والأرض والسمواتِ، قادرٌ على ما يشاءُ، فعالٌ لما يريدُ، موجودٌ قبلَ الخلقِ ليس لهُ قبلٌ ولا بعدٌ ولا فوقٌ ولا تحتٌ ولا يمينٌ ولا شمالٌ ولا أمامٌ ولا خلفٌ ولا كلٌّ ولا بعضٌ ولا طولٌ ولا عرضٌ، كان ولا مكانَ، كوَّن الأكوانَ ودبّرَ الزمانَ، لا يتخصّصُ بالمكانِ، ولا يتقيّدُ بالزمانِ، ليسَ بمحدودٍ فيحدَّ، وليسَ بمحسوسٍ فيجسَّ، لا يُحسُّ ولا يُمسُّ ولا يُجسُّ.

وكلُ ما كانَ من معاني الأجسامِ وصفاتِ الأجرامِ فهو عليه تعالى مُحالٌ، وكلُّ ما وردَ في القرءانِ أو السُّنةِ وصفًا للهِ تعالى فهو كما وردَ وبالمعنى الذي يليقُ باللهِ تعالى بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ.

ولا يجوزُ حملُ المتشابه من الآياتِ والأحاديثِ على ظواهرها، ومن فعلَ ذلكَ فقد كذّبَ القرءانَ وخرجَ عن إجماعِ الأمةِ الإسلاميةِ.

وفي ذلكَ يقولُ شيخُ الإسلامِ الحافظُ البيهقيُّ رحمهُ اللهُ: "وفي الجملةِ يجبُ أن يُعلمَ أن استواءَ اللهِ سبحانهُ وتعالى ليسَ باستواءِ اعتدالٍ عن اعوجاج، ولا استقرارٍ في مكانٍ، ولا مماسةٍ لشيء من خلقهِ، لكنه مستوٍ على عرشِهِ كما أخبرَ بلا كيفٍ بلا أينٍ، وأن إتيانَه ليس بإتيانٍ من مكانٍ إلى مكانٍ، وأن مجيئَهُ ليس بحركةٍ، وأن نزولهُ ليس بنُقلةٍ،

وأن نفسَهُ ليس بجسمٍ، وأن وجههُ لــيس بصــورةٍ، وأن يــدَهُ ليســت بجارحةٍ، وأن عينَهُ ليست بحدقةٍ، وإنما هذه أوصاف جاءَ بها التوقيفُ فقلنا بها ونفينا عنها التكييفَ، فقد **قــال تعــالى:** " ... **لَــيْسَ كَمِثْلِــهِ شَيْءٌ...**" (الشورى ١١) ، وقال: " **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد** " (الصمد ٤)، وقال: " **...هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً...**" (مريم ٦٥) ، انتهــى من كتابِهِ الاعتقادُ والهدايةُ ص/٧٢.

وعلى هذا الاعتقاد إجماعُ أهلِ الإيمانِ، ونقلَ هــذا الإجمــاعَ النوويُّ في شرحِ مسلمٍ ٥/٢٤ــ طبعةُ دارِ الفكرــ بيروت عن القاضي عياضٍ المالكيُّ "أنهُ لا خلافَ بينَ المسلمينَ قاطبةً فقــيهِهِم ومحــدِثِهِم ومتكلمِهِم ونُظارِهم ومُقلِّدهم أن الظواهرَ الواردةَ بذكرِ اللهِ في الســماءِ كقولِهِ تعالى: " أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ..." (الملك ١٦) ونحــوِهِ لــيسَ على ظاهرِها بل متأولةٌ عندَ جميعهِم."

وعلى هذا كان أئمةُ الإسلامِ وبحورِ العلمِ كالإمامِ ابنِ الجوزيِّ الحنبليِّ حيثُ يقولُ في كتابِهِ المدهشِ ــ طبعةُ دار الجيل ص/١٣١ــ: "وإنما تُضربُ الأمثالُ لمن له أمثالٌ، كيفَ يقالُ له كيفٌ، والكيفُ فــي حقِهِ مُحالٌ، أنَّى تتخيلُهُ الأوهامُ وكيفَ تحدُهُ العقول". ويقول: "ما عرفَهُ مَن كيّفَهُ، ولا حدَّهُ مَن مثَّلَهُ، ولا عبدَهُ مَــن شــبَّهه، المشــبِّهُ أعشــى والمُعطِّلُ أعمى."

وفي كتاب الفتاوى الهندية ٢/٢٥٩ من طبعةِ دارِ إحياءِ التراثِ العربيِّ يقولُ ما نصُهُ: "يكفرُ بإثباتِ المكانِ للهِ تعالى."

وفي كتابِ المنهاجِ القويمِ شرحِ شهابِ الدينِ أحمدَ بنِ حجرِ الهيتميِّ على المقدمةِ الحضرميةِ ص/٢٢٤ يقولُ: "واعلم أن القَرافيَّ وغيرَهُ حكَوا عن الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ وأبي حنيفةَ رضي اللهُ عنهم القولَ بكفرِ القائلينَ بالجهةِ والتجسيمِ وهم حقيقيونَ بذلكَ." (٥٨)

ومثلُ ذلكَ قالَ الإمامُ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ فيما رواهُ عنه القشيريُّ في الرسالةِ: "من زعمَ أن اللهَ في شيء، أو على شيء، أو من شيء فقد أشركَ، إذ لو كانَ في شيء لكانَ محصورًا، ولو كانَ على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكانَ محدثًا (أي مخلوقًا) ." وهذا المعتقدُ الحقُّ الذي نقلَ الإجماعَ فيهِ أيضًا إمامُ الحرمينِ أبو المعالي عبدُ الملكِ في كتابِهِ الإرشادُ حيثُ يقولُ في ص/٥٨: "مذهبُ أهلِ الحقِ قاطبةً أن اللهَ سبحانَهُ وتعالى يتعالى عن التحيزِ والتخصصِ بالجهاتِ."

وقال الإمامُ الكبيرُ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرٍ التميميُّ البغداديُّ في الفَرقِ بين الفِرَقِ ص/٣٣٣: "وأجمعوا على أنه لا يحويهِ مكانٌ ولا يجري عليهِ زمانٌ." ، وقالَ الإمامُ شيخُ أهلِ السنةِ والجماعةِ بلا مُنازعٍ الحافظُ أبو الحسنِ الأشعريُّ رضي اللهُ عنهُ في كتابِهِ النوادر: " مَن اعتقدَ أن اللهَ جسمٌ فهو غيرُ عارفٍ بربِهِ وإنهُ كافرٌ به."، وقال الإمامُ المُتولّي الشافعيُّ في كتابِهِ الغُنيةِ: "... أو أثبتَ ما هو منفيٌ عنهُ بالإجماعِ كالألوانِ، أو أثبتَ لهُ الاتصالَ والانفصالَ، كانَ كافرًا"، نقلَهُ النوويُ في الروضةِ ١٠/٦٤ طبعةُ بيروت ، وقالَ شيخُ المشايخِ

الصوفيةِ وعَلَمُ أهلِ الحقيقةِ والطريقةِ السيدُ أحمدُ الرفاعيُ الكبيرُ قدَّسَ اللهُ سِرَّهُ: "غايةُ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ بوجودِهِ تعالى بلا كيفٍ ولا مكانٍ" ذكرَهُ في البرهانِ المؤيَّدِ ، وقالَ الشيخُ عبدُ الغنيِّ النابلسيُّ ص/١٢٤ من كتابِ الفتحِ الرباني: "منِ اعتقدَ أن اللهَ ملأَ السمواتِ والأرضَ أو أنهُ جسمٌ قاعدٌ فوقَ العرشِ فهو كافرٌ وإن زعمَ أنه مسلمٌ."

وقد اتفقَ السلفُ والخلفُ على أن منِ اعتقدَ أن اللهَ في جهةٍ فهو كافرٌ كما صرحَ به العراقيُّ، وبهِ قالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ وأبو الحسن الأشعريُّ والباقلانيُّ كما ذكرَ ذلكَ مُلاّ عليّ القاريُّ في شرحِ المِشكاةِ ٣/٣٠٠ - طبعةُ دارِ الفكرِ - فالمسلمونَ يعتقدونَ أن اللهَ موجودٌ بلا مكانٍ ولا جهةٍ ولا كيف.

الفصل الثالث

نشأة الوهابية[1] ومساندة آل سعود لها

عندما تولى محمد بن سعود إمارة الدرعية عام ١١٣٩هـ، كانت أوضاع نجد كافةً تحتاج إلى دعوة للإصلاح عامة فقد عم الاختلاف كل الجهات ففي كل بلد أمير، وفي كل ناحية حاكم يأخذ ما يحلو له من ثمار، وقد يأتي شريف مكة فيدخل البلاد، كما قد يسير حاكم الأحساء فيخضع الأمراء لسلطانه، وهم يتبعون له، هذا إضافة إلى غارات البدو التي لا تنقطع، وتسلط القبائل وشيوخها على الحضر، وانتشار اللصوص في كل مكان، ووجود الحرابا في الدروب والطرقات، هذا من ناحية الأمن أما من ناحية الدين فتقديس القبور والمظاهر الخاصة، والتعامل بالربا، وارتكاب الفواحش، وإكراه على تزويج البنات، وانتشار الخرافات والتوسل بغير الله من أضرحة الصالحين والأولياء، والاعتقاد ببعض الأحجار والأشجار بأنها تكون سبباً في الإنجاب وإيجاد الزوج وحفظ الولد، إذا قام الطالب عندها ببعض التصرفات. كل هذا كان يثير النفوس، ويزكي روح التمرد على هذه الأوضاع، ويحرق القلوب التي فطرت على حب الأمن والطمأنينة والسلام. وما يرى عاقل شيئاً من هذا إلا ويهوله ما وصل إليه الأمر،

---

(١) منقول بنصه من كتاب شبة جزيرة العرب (نجد) لمحمود شاكر.

وكان لابد من مناد للإصلاح، وشاء الله أن يكون هذا الداعية هو محمد بن عبد الوهاب التميمي الذي ولد ١١١٥هـ في بلدة العيينة(٢)، وعاش في بيئة صالحة إذ كان أبوه عالماً، وقاضياً في العيينة وحريملاء(٣)، كما كان جده مفتى نجد وإماماً في الفقه، وكذا عمه، فنشأ في بيت علم ودين، وكان شغوفاً لتحصيله، واهتم بكتب ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، ثم قام برحلات إلى الحجاز والبصرة ومر بالأحساء، فالتقى بالعلماء في هذه الرحلات أولاً، ورأى ما عليه أوضاع المسلمين في تلك الأمكنة ثانياً، وقد وضع الكتب وكتب الرسائل ، رحل والده من العينية إلى حريملاء عام ١١٣٩هـ لخلافه مع أمير العينية الجديد، فرحل أبنه، وأراد أن يدعو هناك إلا أن والده قد منعه من ذلك فأنصرف إلى التأليف، فلما توفى والده عام ١١٥٣هـ، أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأيه، وبدأ يدعو الناس إلى ترك ما دخل على الدين من بدع وخرافات والتمسك بما كان عليه السلف الصالح... وقد وجد أن جو (حريملاء) لا يناسب الدعوة فقرر العودة إلى العينية، وساعده أميرها عثمان أبن معمر في نشر دعوته، التي انتقلت إلى الناحية العملية، إذ قطعت الأشجار التي يتبرك بها الناس، وهدمت القبة التي فوق قبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه، ورجمت الزانية..

---

(٢) العيينة: بلدة تقع شمال الرياض إلى الغرب قليلاً وتبعد عنها مسافة ٤٠ كيلو متر تقريباً.

(٣) حريملاء: بلدة تقع شمال الرياض إلى الغرب قليلاً وتبعد عنها مسافة ٧٢ كيلو متر تقريباً.

انتقلت أخبار الدعوة خارج المنطقة، وكانت بين منتقد حيث لم يعتد تطبيق الأمور الشرعية، وبين مشجع فاهم لأمور دينه وراض عن استتباب الأمن، ووصلت الأخبار إلى الأحساء فخاف منه الأمير (سليمان بن محمد بن غرير) حاكم المنطقة فكتب إلى عثمان بن معمر حاكم العينية أن يترك نصرة الشيخ ودعوته وأن يقتله، وكان تابعاً له، ويتقاضى منه مرتباً شهرياً، وهدده أيضاً، فطلب عثمان من الشيخ أن يغادر بلده ، فانتقل إلى الدرعية[٤] ، وكان أميرها محمد بن سعود وكان الأمن مستتباً فيها مما يساعد على الدعوة، فاستقبله أميرها، ووعده أن يمنعه، وكان ذلك عام ١١٥٧هـ. وابتدأ النشاط، وغدت الدرعية مركزاً دينياً، ومقراً للنشاط، وقاعدة للجهاد، وسارت الجيوش في الاتجاهات كافة تنشر الدعوة وتطبق تعاليم الإسلام.

توسعت إمارة الدرعية إذ ضمت العينية وحريملاء وبعض المناطق، ووقعت في صدامات متكررة مع الرياض التي حملت هذا الاسم بعد أن كانت تعرف باسم (حجر)، وكذلك مع حاكم الاحساء (عريعر بن دجين)، وحاكم نجران، والإمارات الصغيرة الأخرى، وكان قائد جيوش الغزو عبد العزيز بن محمد بن سعود.

---

[٤] الدرعية: بلدة تقع شمال الرياض على بعد ١٠كم منها.

توفى محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ بعد أن فرض حكمه على بلاد العارض (عدا الرياض) وأكثر بلاد الخرج وحائر والوشم والمحمل وسدير.

تولى عبد العزيز بن محمد بن سعود حكم الدرعية، واستطاع أن يفتح الرياض عام ١١٨٧هـ، ثم القصيم وقد استمرت حروبه فيه من ١١٨٨-١٢٠٢هـ، كذلك فتح الأحساء عام ١٢٠٨هـ، ومكة والطائف عام ١٢١٧هـ بعد حروب طويلة مع الشريف غالب ابن مساعد شريف مكة.

كذلك غزا عبد العزيز جنوبي العراق، ودخل كربلاء، وهدم قبر الحسين، وأخذ الكنوز التي كانت عند الضريح وهذا ما دعا إلى قدوم أحد المتعصبين من الشيعة إلى الدرعية، وطعن عبد العزيز وهو يؤدي صلاة العصر عام ١٢١٨هـ مما أدى إلى موته، وكان أبنه سعود قائد جيوش الدرعية في عهده، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفى عام ١٢٠٦هـ، حكم الدرعية بعد وفاة عبد العزيز بن محمد ابنه سعود، ولقب بالكبير، وكان أول عمل قام به غزو جنوبي العراق وذلك في أواخر عام ١٢١٨هـ، إلا أنه قد عجز عن فتح البصرة والزبير، ثم أعاد الغزو مرة ثانية عام ١٢٢٠هـ، فحاصر النجف والسماوة والبصرة والزبير، ونال كثيراً من الأسلاب. وكرر الغزو عام ١٢٢٣هـ، ثم أرسل ابنه عبد الله عام ١٢٢٥هـ.

أما من ناحية الحجاز فقد غزاها عام ١٢١٩هـ، وسارت إليها الجيوش من قبل عسير التي كان أميرها عبد الوهاب بن عامر (أبو نقطة) تابعاً للدرعية ويعمل للدعوة السلفية، ثم أن شريف مكة غالب بن مساعد قد طلب الصلح من سعود، وتم على الشروط التالية:

١-يأذن الشريف غالب للوهابيين في الحج، وبعد أداء المناسك يتوجهون مباشرة إلى بلادهم.

٢- يدخل أهل مكة وكل من كان تحت حكم الشريف الطاعة.

٣- يكون أمر مكة وأحكامها تحت نظر الشريف.

وقد اشترط الشريف غالب أن يعيدوا إليه (الحسينية) وأثمان ما أخذوه وأتلفوه فيها حتى دية القتلى[٥] .

وكان القتال على أطراف الشام ، وكان الحجيج الشامي قد منع من الحج منذ عام ١٢٢٠هـ، ثم في عام ١٢٢٥هـ قام سعود بغارة على أطراف الشام فوصل (مزيريب) و (بصري)، وقد ربح في هذه الغارة كثيراً من الخير والمتاع والأثاث والطعام .

وكانت المعارك في عمان ، إذ خاف سلطان مسقط السيد سلطان بن أحمد على نفسه من السعوديين فاتجه عام ١٢٠٦هـ إلى البصرة ليتفق مع والي بغداد ممثلاً للسلطان العثماني ضد سعود ، وقد تم ذلك، واعترف سلطان مسقط بسيادة الدولة العثمانية على ممتلكاته

---

[٥] تاريخ البلاد العربية السعودية – الدولة السعودية الأولى عهد سعود الكبير – منير العجلاني.

في الجزيرة العربية وشرقي إفريقية لقاء حمايته من أعدائه.. وهذا ما أثار الحكومة الإنكليزية ، فقتل سلطان مسقط وهو في طريق عودته إلى بلاده ، وسار والي بغداد لمحاربة نجد ولكن السعوديين سبقوه بالإغارة على العراق ، وتولى أمر مسقط بدر بن أحمد شقيق سلطان فسار في الحكم سيراً موالياً للدرعية ، وطلب حمايتها إلا إنه قتل وقام بالأمر بعده ابنا أخيه سالم ثم سعيد بن سلطان ، ثم حدث قتال انتصر فيه السعوديون ، فطلبت عمان المبايعة على السمع والطاعة وأصبحت تحت ولاية السعوديين .

استنجد سعيد بن سلطان بالإنكليز فأرسل سعود حملة إلى عمان عام ١٢٢٥هـ انتصرت على خصومها، واستنجد سعيد مرة ثانية بالإنكليز فلم ينجدوه*، فأتجه إلى الفرس ، وجرى القتال بين الطرفين فانتصر السعوديون، إلا أن الأمر تأزم فيما بعد في عمان بين

---

*تعليق للمؤلف : لماذا لم ينجد الإنكليز سعيد بن سلطان عندما استنجدهم مرتين .... ؟ أليس هذا دليل أخر على أن الدعوة الوهابية قامت بمباركة الإنجليز، بل لن نكون مبالغين إذا ذكرنا أنهم هم الذين أنشئوا الدعوة أصلا، ودعموها بالمال والسلاح وأقرأ إن شئت مذكرات مستر همفر الملحقة بهذا الكتاب، يؤيد ذلك القوة العسكرية الهائلة للوهابية حيث استطاعوا غزو العراق فضلا عن الحجاز وعمان وجنوب الشام .

أنصار السعوديين وخصومهم، ولم يستطع سعود إرسال النجدات حيث كانت الحملة المصرية قد نزلت على سواحل الحجاز، كما وصلت الدعوة أيام سعود إلى تهامة فقد استولى طامي ابن شعيب أمير عسير على تهامة، وقاتل حمود أبو مسمار ووصل إلى الحديدة... كما أن إمام المنصور وأبنه المتوكل قد هادنا سعوداً واستجابا بشيء إلى الدعوة السلفية ، أما المنطقة الشرقية فقد دخلت في طاعة آل سعود عام ١٢٠٨هـ، ولكن أهلها كانوا يحاولون الانفصال، فقاموا بحركة عام ١٢١٠هـ، إلا إنهم قد أخضعوا، فاتصل كبارهم الذين فقدوا السلطة بالوالي العثماني في العراق يطلبون منه المساعدة فأمدهم بجيش هزم عام ١٢١١هـ، فأردفه بثان عام ١٢١٣هـ فتم الصلح بين الطرفين.. ومن ثم عاد الصدام وكان غزو السعوديين لجنوبي العراق عام ١٢١٦هـ وهدموا قبة قبر الحسين في كربلاء ، وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلى سعود، ولم يبق منها سوى جزيرة البحرين وبعض مراكز النفوذ الإنكليزي.

الفصل الرابع

محمد بن عبد الوهاب[1]

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الذي ينسب إليه مذهب الوهابية بقرية العيينة من بلاد نجد سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣ م) وتوفي سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢ م) ؛ فيكون بهذا عمره قد جاوز التسعين سنة ، وقد نشأ في بيئة يصفها ابن بشر (مؤرخ الوهابية) بأنها قد فشا فيها الشرك[2] وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذرة لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، وقد تعلم الشيخ على يدي والده القاضي المبادئ الأساسية والفقه على مذهب الإمام أحمد، وتردد على مكة والمدينة فجالس الشيخ محمد ابن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة السندي وغيرهما، ثم ارتحل إلى البصرة وعاد منها مطروداً كما يقول ابن بشر.

---

(١) هذا الفصل منقول بنصه من كتاب هؤلاء هم الخوارج تأليف عبد الله القطحاني وتم نقله من الإنترنت.

(٢) نحن لا نعتقد الشرك في أهل نجد ولكننا نورد أقوال الوهابية في قومهم.

لم يتمكن الشيخ من مواصلة تعليمه على أحد من العلماء نتيجة لتفرسهم الإلحاد فيه لشدَّة مآخذه على أئمة المسلمين وعامتهم وجرأته على الفتيا، وهذا أمر ظاهر في أقوال الشيخ وأفعاله حتى بعد مشيبه فهو يقول في إحدى رسائله بكل وضوح: (ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث فيهم أكثر ممن يقر به) فهو يجزم بشرك أهل نجد والحجاز - ومنها الحرمين الشريفين- بكل وضوح، ولا عجب ممن يعتقد مثل هذا في المسلمين أن يستحل دماءهم، وهذه الجرأة هي التي قادت أساتذته من علماء الحرمين أن يقول فيه: (سيضل الله تعالى هذا، ويضل به من أشقاه من عباده) فكان الأمر كذلك، وكان الشيخ الكردي أول من ألَّف في الرد عليه كما سيأتي، ومما أثار أباه عليه ولعه بمطالعة أخبار مسيلمة وسجاح وطلحة الأسدي وأضرابهم فطرده وأخذ يحذر الناس منه، ولما استفحل أمره بعد عودته من البصرة ووفاة أبيه الذي نهاه عن إظهار عقائده في حياته نتيجة لتطرفه[٢]

---

(٢) يشير إلى ذلك ابن بشر في عنوان المجد ١/٨ بقوله: (فلما أن الشيخ محمد وصل إلى بلد حريملا جلس عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد فأقام على ذلك سنين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ١١٥٣ ثم أعلن بالدعوة)!! ولا يمكن لعاقل أن يصدق أن الذي أنكره عليه أبوه القاضي المسلم المتفقه على مذهب الإمام أحمد وأهل البلد هو إنكاره للشرك ولكن ما يدعو إليه الابن كان تطرفاً يستبيح دماء الموحدين كما سيأتي في أفعاله وتاريخ مذهبه. وهل يسع الشيخ محمد السكوت عن إنكار

تولى أخوه الشيخ سليمان أمر الردِّ عليه فألف كتابين يفنِّد فيهما مزاعمه كما سيأتي.

والحق إنه كان للبيئة النجدية الغارقة في الجهل التي نشأ وعاش فيها الشيخ، والمستوى التعليمي الذي كان لا يرقى به إلى مصاف العلماء نتيجة عدم مواصلة تعليمه، ولشخصيته الثورية التي لا تؤمن بالمسلَّمات الأثر الأكبر في تحديد مسيرته ومنهجه الناقم على كلِّ شيء في ديار المسلمين لا يتطابق مع ما آمن به من ثوابت. ولقد كان الشيخ محقاً في بعض مبادئه ولكن أغلبها الأعم كان فيه على الباطل، وفي مقدمة تلك المبادئ سرعة رميه للمسلمين (داخل نجد وخارجها) بالشرك الأكبر لأتفه الأسباب حتى استحل بذلك دماءهم وأموالهم؛ فلم يكن بين فكره وفكر الخوارج ثمَّة فرق كبير.

<u>العودة من البصرة:</u>

عاد الشيخ من البصرة كما يقول ابن بشر مطروداً من أهلها !! وكان في نيته الذهاب إلى بلاد الشام لولا أنه كاد أن يهلك عطشا !! فاتجه إلى بلد (حريملاء) فوقع بينه وبين أهلها نزاع بسبب آرائه فنهاه أبوه عن ذلك فسكن إلى أن مات أبوه بعد سنتين أي عام ١١٥٣هـ، فتجرأ على إظهار عقائده التي ترمي أهل الإسلام بالشرك، وتبعه حثالة من الناس إلى أن غص أهل البلد من مقالاته فهموا بقتله فانتقل من حريملة إلى العيينة البلدة التي ولد فيها.

الشرك لنيل رضا والده -وفي حياته فقط- مع أن إنكار الشرك والردّة واجب لا يسقطه سخط الوالدين ورضاهما، وما الذي يدريه بأنه كان سيعيش بعد والده لإنكار الباطل!!

التحالف الأول:

بعد طرده من حريملاء تحالف الشيخ مع أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر، وقال له (إن نصرتني ملكت نجداً) فزوَّجه الأمير من ابنة عمه الجوهرة بنت عبد الله بن معمر؛ فقال الشيخ للأمير (إني آمل أن يهبك الله نجداً وعربانها)[3] !! ولك أن تتأمل في هذا الكلام وتُحلِّل شخصية قائلها على ضوئها، فقيمة المسلمين في نظر شيخ الإسلام الذي جاء ليحرر البشرية في جزيرة العرب من نير الشرك وأغلال الضلال لا تتجاوز أن يكونوا عبيداً يوهبون وأرضهم للسادة الأمراء؛ ولكن الأمير لم يلبث أن طلب منه الخروج من أرضه بعد أن وقع تحت ضغوط من الأمراء المجاورين وإصرار قائد الإحساء والقطيف سليمان بن محمد بن غرير الحميدي[4] وأهل حريملاء والبصرة على قتله لإثارته القلاقل والفتن. هذا ولا يبعد أن يكون ابن معمّر قد اكتشف الوجه الحقيقي لابن عبد الوهاب فطرده مما دعى الشيخ للمبادرة بقتله ساعة أن تمكّن في الدرعية.

---

(٣) روى هذه المقالة شيخ الوهابية الكبير وثقتهم الحجة عبد الله فيلبي في كتابه (تاريخ نجد) ص ٣٦، من منشورات المكتبة الأهلية ببيروت. وانظر أيضا ابن بشر، عنوان المجد، ٩/١

(٤) كان عثمان يأخذ خراجه من صاحب الإحساء.

التحالف مع ابن سعود:

التجأ الشيخ بعد طرده من العيينة سنة ١١٥٨هـ إلى أمير الدرعية[٥] محمد بن سعود فتبايعا على أن تكون لابن سعود السلطة السياسية.

ولابن عبد الوهاب السلطة الدينية، بالشروط الثلاثة التالية:

أولاً : ألا يتعرض الشيخ لما يأخذه ابن سعود من الأموال من أهل الدرعية وغيرهم ممن يخضع لسلطانه. وقد اختلفت الروايات في قبول الشيخ لهذا الشرط إلا أن الثابت من رواية ابن بشر - وهو ثقة[٦] - أنه قبل هذا الشرط، وبرّر ابن بشر ذلك بأنه كان (رجاء أن يخلف الله من الغنيمة (!!) ما يغني عن تلك المكوس والضرائب غير الشرعية).

ثانياً: أن تكون الإمارة - أي الملك والسلطان - في محمد بن سعود وأولاده، أي أن تكون الإمارة وراثية، وأن يكتفي الشيخ وأبناؤه وتلامذته وغيرهم من العلماء، بالمشيخة والفتيا، أي بالشؤون الدينية.

ثالثاً: أن يلتزم الشيخ بالبقاء تحت راية بيت آل سعود فلا يخرج داعيا إلى غيرهم، ولا يرتحل عنهم). يقول المسعري: وهذا يذكرنا بالاتفاق بين إمبراطور الروم قسطنطين مع أساقفة النصارى في

---

(٥) قرية صغيرة في وادي حنيفة قرب الرياض.

(٦) ثقة عند الوهابية فقط.

القرن الرابع الميلادي على جعل الدين (أي شؤون الآخرة والروح) من اختصاص البابا رئيساً للنصارى، والملك (أي شـؤون الـدنيا) للأمبراطور، وفي مقابل ذلك يدخل النصارى جميعاً تحـت طاعـة الإمبراطور وينخرطوا في جيشه ويدافعوا عن عرشه وما كان مـن الشيخ بعد ذلك إلا أن وعد حليفه الجديد بالفتوحات والغنائم!

بداية الإغارة على المسلمين:

لقد كان الشيخ محمد شخصياً هو الذي يجهز الجيوش ، وقـد سارت أول سرية للإغارة على المسلمين في بلاد الجزيـرة بمباركـة الشيخ حيث يقول مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر النجدي: (ثـم أمـر الشيخ-أي محمد بن عبد الوهاب- بالجهاد وحضهم عليـه فـامتثلوا، فأول جيش غزا سبع ركايب، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب فـي سيرها سقطوا من أكوارها لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا أظنه على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين) ونحن نتساءل عن الموجـب للإغارة على هؤلاء الأعراب؟! وما هو المسوغ لأخذ مالهم غنيمة ؟!

وجوب الهجرة إليه:

ألزم ابن عبد الوهاب من دخل في مذهبه أن يهاجر إليه فـي نجد، وهي بدعة لم يسبقه إلى انتحالها سوى نافع بن الأزرق، وكـان أول من بيَّن فساد رأيه في ذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في كتابه (الصواعق الإلهية في الـرد على الوهابية) وشرح له حـديث

(لا هجرة بعد الفتح) والحث على الإقامة في المدينة وفساد الرأي بالهجرة منها، وقد اعترف بهذه الهجرة ابن بشر حيث يقول: (ولما هاجر من هاجر إلي الدرعية واستوطنوها كانوا في أضيق عيش وأشد حاجة وابتلوا ابتلاء شديداً فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة)!! ويقول: (وكان الشيخ-رحمه الله- لما هاجر إليه المهاجرون، يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤونتهم وما يحتاجون إليه)(٧).

ج

تقواه وورعه:

نسرد هنا أمثلة بسيطة من أفعاله وأقواله التي يستحق مرتكبها النار والعياذ بالله، تحقيقاً لحكم الله سبحانه في قاتل المؤمن متعمداً بغير حق، والمحارب لأنبياء الله، وإلا فإن تاريخ قدوة الوهابية هذا زاخر بدماء المسلمين والتطاول على نبيهم:

١- قال الشيخ أحمد زيني دحلان: (وكان محمد بن عبد الوهاب ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ وآله وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب، حتى إنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي ﷺ وآله

(٧) عنوان المجد ١/١٥ العجيب أن بعض الوهابية اليوم يحاولون طمس هذه الحقيقة بنكرانها!!

وسلم في المنارة بعد الأذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي ﷺ وآله وسلم فأمر بقتله فقُتِل، ثم قال: إن الربابة في بيت الخاطئة: يعني الزانية أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ وآله وسلم في المنائر، ويُلبِس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد. فما أفظع قوله وما أشنع فعله) اهـ.

٢- هجم محمد بن عبد الوهاب على بلدته الأصلية العيينة فجعلها قاعاً صفصفاً؛ حيث اغتال حاكمها عثمان بن حمد بن معمر في مصلاه بالمسجد يوم الجمعة وسماه مشركا، وهو كما قالت عاتكة:

شَلَّت يمينك إنْ قتلتَ مسلماً حَلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمِّد

ثمَّ قتل رجالها كلهم وهدم بيوتها وأحرق أشجارها وقطع نخيلها واستولى على النساء والحيوانات وتركها خرابا، وحرَّم بناءها أو سكناها منذ مائتي سنة وزعم كذباً وفجوراً أن الله أرسل للعيينة الجراد فأكلها عن آخرها!

٣- وكان يتطاول في مجالسه على المقام النبوي (فيقول: نظرت في صلح الحديبية فوجدت بها كذا وكذا، إلى غير ذلك مما يشبه هذا حتى إن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ويقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول ويخبرونه بذلك فيُظْهِر الرضا وربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به..)، فهل من غرابة بعد هذا أن ينقل الناس عنه أنه كان يدّعي النبوة وإن لم يجاهر بها؟!

أمانته:

يقول مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد): (وكان الشيخ -رحمه الله- لما هاجر إليه المهاجرون[٨]، يتحمل الدَّين الكثير في ذمته لمؤونتهم وما يحتاجون إليه، وفي حوائج الناس وجوائز الوفود إليه من أهل البلدان والبوادي، ذكر لي أنه حين فتح الرياض وفي ذمته أربعون ألف محمدية[٩] فقضاها من غنائمها) مع أن أهل الرياض كانوا حنابلة لكنهم استباحوا أموالهم، فترى أنه قضى أربعين ألف محمدية من أموال أهل الرياض، كيف استباح الشيخ ذلك من هؤلاء الناس ؟! أليسوا أهل عقيدة؟! ألا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟! أما في كلمة "لا إله إلا الله" عاصم لهؤلاء؟! ثم قال: (وكان لا يمسك على درهم ولا دينار، وما أوتي إليه من الأخماس) ولنقف عند كلمة الأخماس، فإنه لا يخمَّس إلا ما يغنم من مال المشرك أما مال المسلم فلا يخمس بأي حال من الأحوال.

يقول: (وما أوتى إليه من الأخماس والزكاة يفرقه في أوانه، وكان يعطى العطاء الجزيل بحيث إنه يهب خمس الغنيمة العظيمة للاثنين أو الثلاثة، فكانت الأخماس والزكاة وما يجبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها تدفع إليه بيده، ويضعها حيث يشاء).

---

(٨) الهجرة إلى حيث قرن الشيطان!

(٩) عملة نقدية

أليس هذا وبكل وضوح هو أسلوب عصابات اللصوص قطّاع الطرق الذين يتقاسمون المسروقات بعد كلِّ غارة؟!

بل وكان من عادة ابن عبد الوهاب وأتباعه أسر النساء والأطفال، وقد انتشرت سرقة الأطفال في أرض الجزيرة العربية وبيعهم في أسواق نجد بعد ظهور الوهابية.

من أفعال الشيخ:

كان يمنع أصحابه من مطالعة كتب التفسير والفقه والحديث ويحرقها، وينكر علم النحو واللغة ويقول إن ذلك بدعة![١٠].

وكان يأذن لأتباعه أن يفسّروا القرآن بحسب إفهامهم بلا التفات إلى القواعد الصرفية والبيانية والمنطقية، ويقول لعماله: اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب التي فيها الحق والباطل[١١].

وإذا أراد أحد أن يدخل دينه يقول له بعد الإتيان بالشهادتين: (اشهد على نفسك أنك كنت كافرا، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان- ويسمِّي له جماعة من أكابر العلماء الماضين - أنهم كانوا كفارا) فإن شهدوا قَبِلَهم وإلا أمر بقتلهم. وكان

(١٠) وهذا من أسرار تخلف الوهابية لغة.

(١١) وهذا الاجتهاد المطلق الذي ناله عمال الشيخ كان سبباً من أسباب البلاء حين استباحوا دماء الموحدين!

يصرِّح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة[١٢]، وكان يكفِّر كل من لا يتَّبعه وإن كان من أتقى المتَّقين فيسمِّيهم مشركين، ويستحل دماءهم وأموالهم، ويشهد بالإيمان لمن اتبعه وإن كان من أفسق الفاسقين. ومن البدع التي أخرجها هو وقومه ترك العمائم، مع أنها من السنة، وهي تيجان العرب، فترى أتباعه اليوم شغلهم الأكبر في صلاتهم إصلاح الشماغ الأحمر الدموي المعبِّر عن اللهفة لإراقة الدماء! التي تنسدل على جباههم وجنوبهم.

عقيدته:

من استقراء مؤلفات الشيخ وسيرته وأصحابه يتبيَّن أن أهم ما يميز العقيدة التي دعا إليها الشيخ الأمور الخمسة التالية:

١- تجسيم الله سبحانه وتعالى وتشبيه بخلقه وفرية أنه متحيِّز في جهة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢- دعوى محاربة عبادة القبور وتحريم التوسل بالنبي ﷺ وزيارته.

٣- تكفير المسلمين ورميهم بالشرك.

٤- استحلال دماء المخالفين وأموالهم.

٥- وجوب الهجرة إليه في مبتدأ أمره.

---

(١٢) العلامة أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ٢٢٧/٢، ط. استانبول عام ١٩٨٦م.

موقفه من الرسول ﷺ:

(كان ينتقص النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد؛ فمنها أن يقول: إنه ((طارش))، وهو في لغة المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين، فمراده أنه صلى الله عليه وآله وسلم حامل كتب: أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لأناس ليبلغهم إيَّاه ثم ينصرف..حتى إن بعض أتباعه كان يقول: عصايَ هذه خير من محمد لأنها يُنتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش وقد مضى)[١٣] هذا وما يزال أتباع الشيخ ينهون الناس عن قول (سيدنا) عند ذكر الرسول ﷺ !! وهذا من العجب العجاب، كيف لا ورسول الله ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

نظرة أصحابه إليه:

ينظر الوهابية إلى إمامهم نظرة تقديس فعندما يذكره ابن بشر مثلاً يقول (قدَّس الله روحه) ولا يقيسونه إلا بالرسول العظيم فيعتقدون أن ما حدث للرسول ﷺ حدث له وهم يقارنون بين محاولة اغتيال محمد بن عبد الوهاب وحادثة سراقة مع الرسول!! وهجرة ابن عبد الوهاب من حريملا وهجرة الرسول من مكة!! فكانت حروبه التي

---

(١٣) أحمد بن زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص ١٤٥.

تستبيح دماء المسلمين وأموالهم (جهاداً) وغاراته (غزوات) وانتصاراته (فتوحات) ورعاياه (مسلمين) والخروج على طاعته (رِدَّة)! وكان الشيخ محمد يسمي جماعته من أهل بلده الأنصار ويسمّي من اتبعه من الخارجين المهاجرين، وإذا تبعه أحد وكان قد حجّ حجة الإسلام يقول له: حجَّ ثانيا فإنّ حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل، ولا تُسقط عنك الفرض! بل إن ابن عبد الوهاب بعد أن تحالف مع ابن سعود بدأ يكاتب شيوخ القبائل وأمراء المناطق ليدخلوا في الدين الجديد كما فعل الرسول ﷺ عندما أرسل الرسل إلى الملوك والحكام للدخول في الإسلام، يقول ابن بشر: (ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان بذلك ورؤساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخريا واستهزؤا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة..) ثمَّ مثّله بالرسول ﷺ وأنه قد أصيب بذلك أيضا.

علمه:

حينما تسمع بدعوى التجديد التي ينسبها أتباعه إليه تحسب أن هذا الشيخ قد ترك الكثير من النفائس الفكرية، وأنه قد ملأ المكتبة الإسلامية علماً ونورا، خصوصاً أن عمره قد طال حتى شارف القرن من الزمان، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً فلا يوجد للشيخ متن واحد في العلم يصلح أن يدرس، ولم يترك كتاباً معتبراً، وإنما ترك نتفاً هي

في أضخم أحوالها كتيبات[١٤]، وهي مع ذلك مليئة بالجهل والتخليط والانتصار بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وللدلالة على ذلك فقد اخترنا أشهرها لديهم وهو (كتاب التوحيد) وهو كتيِّب صغير، عرضنا بعض ما فيه من جهل وتخبيط يريك ما عليه شيخ النجدية من ضلالة وقلَّة اطلاع .

من أقوال العلماء فيه:

أقوال العلماء في هذا الزائغ لا يتسع لها مقالنا ولكن نورد التالي:

* قال له أخوه سليمان يوما : كم أركان الإسلام يا محمد ؟ فقال خمسة ، فقال أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم.

* وقال عنه الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام:

وقد جاء من تأليفه برسائل *** يكفِّر أهل الأرض فيها على عمد

ولفق في تكفيرهم كل حجة *** تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

وصدق والله .

☐ وقال عنه مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله النجدي الحنبلي (ت ١٢٩٥هـ) في كتابه (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) في ترجمة والد محمد بن عبد الوهاب ما نصه:

---

(١٤) يعمد الوهابية إلى طباعة رسائله –وأغلب مؤلفات الوهابية رسائل صغيرة !-في كتيبات صغيرة الحجم لتكثر أوراقها.

(وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تبايناً مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبد الوهاب أنه كان غضبان على ولده محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمد الشر، فقدر الله أن صار ما صار.. ثم قال عن تمجيده لابن تيميه وابن القيم:..يرى كلامهما نصاً لا يقبل التأويل، ويصول به على الناس.. وقال عن تسليم الله لأخيه سليمان من شره بعد أن ألَّف رسالته (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب)..إنه كان إذا باينه أحد ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله) فكيف لمن كان هذا حاله أن يبرز في العلم وهو لم ينفر للتفقه في الدين، وكيف له أن يفلح عند الله وقد أغضب والده الصالح؟!

* وقال عنه الشيخ محمد أمين بن عابدين الحنفي في رد المحتار على الدر المختار (٢٦٢/٤) كتاب البغاة عند حديثه عن الوهابية: (خرجوا من نجد وتغلَّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون) .

□ وقال عنه العلامة جميل صدقي الزهاوي في الفجر الصادق: (الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الوهاب. وابتداء ظهور

محمد هذا كان سنة (١١٤٣هـ)، وإنما اشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر عقيدته الزائفة في نجد، وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب مجبرا أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا، فتابعوه، ومازال ينخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته، وكبرت شهرته، واستفحل أمره فخافته البادية. وكان يقول للناس: ما أدعوكم إلا إلى التوحيد، وترك الشرك بالله تعالى في عبادته، وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك).

وقال الشريف عبد الله بن الشريف حسين باشا في (صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر) الصفحة الأولى: إن ابتداء ظهور ابن عبد الوهاب ببدعته في نجد كان سنة ١١٤٣هـ ثم كان استيلاء الوهابيين على مكة سنة ١٢١٨هـ فتسمية الوهابيين بخوارج القرن الثاني عشر هي مبنية على ابتداء ظهور بدعتهم، لا على ابتداء استيلائهم الأول على مكة).وقد رد كثير من أتباع الأئمة الأربعة عليه وعلى مقلديه بتآليف كثيرة جيدة:

وأول من ردَّ عليه أكبر أساتذته الشيخ محمد بن سليمان الكردي فقال في جملة من كلامه (يا ابن عبد الوهاب كفَّ لسانك عن المسلمين) والمؤسف أنه لم يكف لا لسانه ولا يده. وممن رد عليه من الحنابلة: أخوه سليمان بن عبد الوهاب في كتابين تعرضنا لأحدهما.

ومن حنابلة الشام: آل الشطّي، والشيخ عبد القـدومي النابلسـي فـي رحلته، أما من المعاصرين فعدد لا يحصى من العلماء.

وممن نص على خروجه من الملة:

العلامة المحقق ابن عابدين الحنفي في حاشيته (رد المحتار على الدر المختار) في باب البغاة، والشيخ الصاوي المصـري فـي حاشيته على الجلالين لتكفيره أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) برأيه.

انخداع الناس به:

لقد وجد الشيخ في نجد مرتعاً خصبا ، حيث عشش الجهل فيها وباض فسارت في ركابه رضاً وكرها ، وتسامع الناس بدعوته التي تحول قطاع الطرق في نجد إلى دعاة للتوحيد وهدم القباب والقبور فانخدع الكثير من البسطاء به ، بل وانخدعت به طائفة من العلمـاء الذين يسمعون به ولا يرونه لبعدهم عنه ، مثلما انخدع الكثيـر مـن الناس بالطاغية أتاتورك ، حتى قال فيه شوقي:

يا خالد الترك جدِّد خالد العربِ

ومن انخدع به العلامة الصنعاني صاحب سبل السلام فقـال فيه :

سلامٌ على نجدٍ ومن حلَّ في نجْدِ وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

حتى إذا أتاه الخبر اليقين قال:

رجعــت عن القول الذي قلت في النجدي

فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي

ظنــنتُ به خــيراً فقلــت:عسى عسى

نجِــد ناصحاً يهــدي العبــاد ويستهــدي

لقد خــاب منه الظــن لا خاب نصحنا

وما كل ظــنٍ للحــــقائق لي يهــدي.

وكذلك انخدع به السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنـــار فألف كتابه الوهابيون والحجاز[١٥]، وما ذلك إلا لكراهيتـــه للأشـــراف وحبه في زوال دولتهم، فليتنبه المسلم .

---

(١٥) دافع الشيخ عنهم كثيراً في مجلته المنار، حتى نفى قتلهم للأبرياء في الطائف، فلما استبان له اعتراف الوهابية أنفسهم بهذه المجازر في الجزيرة وغيرها قال (الوهابيون والحجاز ص٨٨): (إن وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد)!! وهذا دفاع لا يقبل من الشيخ فالخطأ لا يقارن بتعمد القتل المتكرر في كل وقت وحين وبأمر القيادة العليا الصريح بل والمشاركة فيه فلا يذهبون لقتل الأبرياء إلا وقاض بين أعطافهم وكثيراً ما يكون هذا القاضي من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه كما سيأتي. ولكن كما قلنا ففرط كرهه للأشراف الذين يسميهم بالطواغيت والخونة كان دافعه لتأييد أهل نجد - الذين لم تتبين ملامحهم الحقيقية كلها بعد – لأخذ الحجاز منهم، ولكنه لما تبين له اتفاق الوهابية مع الإنجليز لأخذ الحجاز قال (ص١١١): (نعم، إننا نظن الآن أنه كان في الإمكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون أن يقيد نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة)

دعوى رجوعه إلى الحق:

بعد انقسام الوهابية اليوم إلى عدة جبهات، تدعي بعضها أن الشيخ قد استغلته السلطات كغطاء شرعي لتحقيق مآربها ولكنه تنبه لذلك لاحقاً فتاب مما كان عليه واعتزلهم، خصوصاً بعد أن رأى أن الأمر قد خرج عن دائرة الدعوة إلى قتل المسلمين وسرقة أموالهم وسبي نسائهم ، وطلب الدنيا بتوسيع رقعة النفوذ بأي ثمن كان . وهذا الكلام مردود باطل لا يقوله إلا متابع للعاطفة لا للحقيقة، فإن الغارات وفرق الاغتيال من مبتدئها ما كانت تخرج إلا بمباركة الشيخ وتوجيهه وذلك باعتراف أشياع الشيخ، أما قعوده في آخر حياته فيوضحه مؤرخ الوهابية الشيخ عثمان النجدي بقوله (فلما فتح الله الرياض واتسعت ناحية الإسلام وأمنت السبل وانقاد كل صعب من بادٍ وحاضر جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه وانسلخ منها ولزم العبادة وتعليم العلم ، ولكن ما يقطع عبد العزيز أمراً دونه ولا ينفذه إلا بإذنه) هذه هي الحقيقة باعتراف الوهابية، وفي هذه المقالة أكثر من جانب للتحليل عن تواطؤ الشيخ على الإسلام والمسلمين، ويجب أن تتنبه إلى إشارة ابن بشر إلى اتساع رقعة الإسلام بفتح الرياض!! فإلى هذا التاريخ لم يدخل الوهابية مكة والمدينة أي أن الإسلام لم يدخلهما بعد!!! هذا ومن المعلوم أن ذريته

ويدعَون (آل الشيخ) هم سدنة هذا المذهب إلى اليوم فهم علـــى آثـــار أبيهم سائرون[١٥].

هذا ولا بد هنا أن نعرِّف بأهم شخصيتين تأثر بهمـــا الشـــيخ محمد في دعوته، وكانت مسيرته امتداداً لحركتهما الثورية المناهضـــة للمذاهب الأربعة؛ ألا وهما ابن تيميه وابن القيِّم..

---

(١٥) وهذا مما يدل علي زيغ هذه الفرقة فمتي كان العلم وراثيا

الفصل الخامس

مخالفة الوهابية لجمهور وعلماء الأمة الإسلامية

١ - مخالفة الوهابية لجمهور الأمة الإسلامية :

هذا البند مأخوذ من فصل فتنة الوهابية من كتاب "الفتوحات الإسلامية" للشيخ أحمد بن زين بن أحمد دحلان المكي، الشافعي، فقيه، مؤرخ، شارك في أنواع من العلوم، مفتي السادة الشافعية بمكة المعظمة، وشيخ الإسلام، ولد بمكة سنة ١٢٣١هـ وتوفي بالمدينة في المحرم سنة ١٣٠٤هـ. له مؤلفات كثيرة مطبوعة متداولة منها: الدرر السنيّة في الرد على الوهابية، ومنها هذا الفصل الذي أخذنا منه ما يلي فمما ذكر: ".. وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى: " **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** " "الأحقاف ٥ "

وكقوله تعالى " **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ....** " "يونس ١٠٦ "

وأمثال هذه الآيات في القرءان كثيرة، فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك ، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام "..... **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**"

الزمر ٣ " إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) قال: " فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئًا بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**) " الزخرف ٨٧ "

" **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** " (لقمان٢٥)

فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء مثلهم". وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد ابن سليمان الكردي فقال من جملة كلامه: " يا ابن عبد الوهاب إني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك

عن المسلمين فإن سمعتَ من شخص أنه يعتقد تأثير ذلكَ المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبِنْ له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين. قال تعالى: " **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً** " " النساء ١١٥ " وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية "اهـ.

وأما زيارة قبر النبي ﷺ فقد فعلها الصحابةُ رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء في فضلها أحاديث أفردت بالتأليف، ومما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد ما ورد بمجمع الزوائد للهيثمي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " **قال رسول الله ﷺ إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن لله حاصراً في الأرض سيحبسه**". رواه أبو يعلى والطبراني ، وزاد : " سيحبسه عليكم".

وفي حديث آخر: " **إذا أضلّ أحدكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرضٍ ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني**" وفي رواية "**أغيثوني**" "**فإن لله عبادًا لا ترونهم**"، وكان النبي ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : " **يا أرض، ربي وربك الله**" وكان ﷺ إذا زار قال :

"**السلام عليكم يا أهل القبور**" وفي التشهد الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله: "**السلام عليك أيها النبيّ**" ، والحاصل أن النداء والتوسل ليس في شيء منهما ضرر إلا إذا اعتقدَ التأثير لمن ناداه أو توسل به ، ومتى كان معتقدًا أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك ، وكذلكَ إسناد فعل من الأفعال لغير الله لا يضرّ إلا إذا اعتقدَ التأثير، ومتى لم يعتقد التأثير فإنه يُحمل على المجاز العقليّ كقوله: نفعني هذا الدواء أو فلان الوليّ، فهو مثل قوله: أشبعني هذا الطعام ، وأرواني هذا الماء، وشفاني هذا الدواء، فمتى صدر ذلك من مسلم فإنه يحمل على الإسناد المجازي والإسلام قرينة كافية في ذلكَ فلا سبيل إلى تكفير أحد بشيء من ذلكَ ويكفي هذا الذي ذكرناه إجمالاً في الرد على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع إلى الرسائل المؤلفة في ذلكَ فلينظرها من أرادها.

٢ - مخالفة الوهابية لابن تيميه

ليعلم أن الفرقة الوهابية تائهون في أغلب أمورهم يوافقون ابن تيميه في بعضها وفي بعض يخالفونه، فإن ابن تيميه ذكر في كتابه الكلم الطيب الحديث الذي رواه البخاري وغيره **عن ابن عمر أنه خدرت رجله فقال : يا محمد**، وقد ذكر هذا الحديث قبله -يعني ابن تيميه- البخاري في الأدب المفرد، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والنووي في كتابه المعروف بالأذكار، وأورده بعد ابن تيميه الحافظ

سيد القراء شمس الدين بن الجزري في كتابيه الحصن الحصين ومختصره ، وذكره الشوكاني وغيره ممن جاءوا بعد ابن تيميه، أما الوهابية فإنهم خالفوا ابن تيميه في هذا وهذا يدل على أنهم تائهون، فعندهم من قال يا محمد بعد موت النبي محمد أو في حياته في غيابه فقد أشرك، ونص عبارة ابن تيميه في كتابه الكلم الطيب تحت عنوان " فصل في الرجل إذا خدرت قال عن الهيثم بن حَنَش، **قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل: أذكر أحب الناس إليك فقال : يا محمد فكأنما نشط من عقال."**

والعجب من هؤلاء الوهابية الذين يجعلون ما استحسنه ابن تيميه شركًا مع تلقيبهم له بشيخ الإسلام، ومع هذا فإن ابن تيميه هو زعيمهم الأول الذي اقتبس محمد بن عبد الوهاب من تأليفه تحريم التوسل بالأنبياء والأولياء وتكفير من يقصد قبور الأنبياء والأولياء للدعاء عندها رجاء إجابة الدعاء والتجسيم للبارئ وغير ذلك، ويسمون زعيمهم الثاني أيضًا شيخ الإسلام.

ثم إنه لا يخلّ بالمقصود تضعيف الألباني لسند أثر ابن عمر لأن الألباني ليس من أهل التصحيح والتضعيف فهو بعيد من الحفظ بُعد الأرض من السماء فهو لا يحفظ عشرة أحاديث بإسنادها، وقد نص علماء الحديث على أن التصحيح والتضعيف من خصائص الحافظ وهو من يحفظ أكثر الأحاديث النبوية عن ظهر قلب مع حفظ الإسناد

واختلاف الطرق، لأن الحديث قد يكون له عشرون طريقًا أو أكثر من ذلك أو أقل، ومع معرفة أحوال الرواة من وُثق منهم ومن ضعف على حسب مراتب التعديل والتجريح، ومن يصغي إلى تضعيف الألباني أو تصحيحه فقد بَعُدَ بُعْدًا كبيرًا عما قرره علماء مصطلح الحديث كالسيوطي والنووي والحافظ ابن حجر وغيرهم، وفي ذلك قال السيوطي في ألفية مصطلح الحديث:

وخذه حيث حافظ عليه نص   أو من مصنف بجمعه يُخص

يعني بهذا أن الصحيح يعرف بنص حافظ على أنه صحيح فيُحكم عليه بالصحة، أو وجد هذا الحديث في كتاب التزم الحافظ الذي صنفه أنه لا يذكر في هذا الكتاب إلاّ ما صح، وأما الألباني وتوابعه فقد ارتكبوا إثمًا كبيرًا حيث إنهم بعيدون من الحافظ بُعد الأرض من السماء ومع ذلك يصححون ويضعفون، وهذا الأثر لم يورد بإسناد واحد من طريق واحد بل من أكثر من طريق، فالبخاري أورده بطريق وابن السني أورده بطريق أخر فلا معنى لتضعيف الألباني، ثم لو فرض أن هذا الأثر ضعيف فالحجة عليهم قائمة حيث إن ابن تيميه ذكر هذا الأثر على أنه مستحسن طيب يُعمل به فإلى أين تهرب الوهابية من هذه الفضيحة ؟!

نقول: وفي استحسان ابن تيميه قول من خدِرَتْ رِجْلُهُ: "يا محمد" في هذا الكتاب مناقضة لنفسه حيث إنه يحرم في بعض كتبه الاستغاثة بغير الحيّ الحاضر وهنا أجاز الاستغاثة بالرسول بعد موته

عليه الصلاة والسلام، فماذا يفعل أتباعه هل يأخذون بقوله هذا أم ذاك؟ وفي هذا دليلٌ على أنه تائه وأتباعه كذلك تائهون .

٣- مخالفة الوهابية لعلماء الأمة الإسلامية المعاصرين له :

منهم أخيه سليمان بن عبد الوهاب

وله كتاب (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) وسنكتفي فقط بعرض بعض فقرات الكتاب حيث قال ..... " إذا فهمتم ما تقدم فإنكم الآن تكفرون من شهد أن لا اله إلا الله وحده وأن محمدا عبده ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله ملتزما لجميع شعائر الإسلام وتجعلونهم كفارا أو بلادهم بلاد حرب فنحن نسألكم من إمامكم في ذلك وممن أخذتم هذا المذهب عنه، فان قلتم كفرناهم لأنهم مشركون (قلنا) الآيات حق وكلام أهل العلم حق ولكن أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله أي ادعى إن لله شريكا كقول المشركين هؤلاء شركاؤنا **وقوله تعالى** "... **وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء** ." (الأنعام٩٤) ، " **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** "(الصافات ٣٥)" **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً** .." (ص٥) إلى غير ذلك مما ذكره الله في كتابه ورسوله أهل العلم ولكن هذه التفاصيل التي تفصلون من عندكم إن من فعل كذا فهو مشرك وتخرجونه من الإسلام من أين لكم هذا التفصيل، استنبطتم ذلك بمفاهيمكم فقد تقدم

لكم من إجماع الأمة انه لا يجوز لمثلكم الاستنباط ألكم في ذلك قدوة من إجماع أو تقليد من يجوز تقليده مع انه لا يجوز للمقلد أن يكفر إن لم تجمع الأمة على قول متبوعه، فبينوا لنا من أين أخذتم مذهبكم هذا ولكم علينا عهد الله وميثاقه إن بينتم لنا حقاً يجب المصير إليه لنتبع الحق إن شاء الله فان كان المراد مفاهيمكم فقد تقدم انه لا يجوز لنا ولا لكم ولا لمن يؤمن بالله واليوم الأخر الأخذ بها ولا نكفر من معه الإسلام الذي أجمعت الأمة على من أتى به فهو مسلم فأما الشرك ففيه اكبر واصغر وفيه كبير واكبر وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه مالا يخرج من الإسلام وهذا كله بإجماع وتفاصيل ما يخرج مما لا يخرج يحتاج إلى تبيين أئمة أهل الإسلام الذي اجتمعت فيهم شروط الاجتهاد فان اجمعوا على أمر لم يسع أحد الخروج عنه وان اختلفوا فالأمر واسع فان كان عندكم عن أهل العلم بيان واضح فبينوا لنا وسمعاً وطاعة وإلا فالواجب علينا وعليكم الأخذ بالأصل المجمع عليه واتباع سبيل المؤمنين وانتم تحتجون أيضا بقوله عز وجل ".. **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ..." (الزمر ٦٥) وبقوله عز وجل في حق الأنبياء "... **وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**.... " (الأنعام ٨٨) وبقوله تعالي " **وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً**..." *(آل عمران ٨٠)

فنقول نعم كل هذا حق يجب الإيمان به ولكن من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إذا دعي

غائباً أو ميتاً أو نذر له أو ذبح لغير الله أو تمسح بقبر أو اخذ من ترابه أن هذا هو الشرك الأكبر الذي من فعله حبط عمله وحل ماله ودمه وانه الذي أراد الله سبحانه من هذه الآية وغيرها في القرآن فان قلتم فهمنا ذلك من الكتاب والسنة قلنا لا عبرة بمفهومكم ولا يجوز لكم ولا لمسلم الأخذ بمفهومكم فان الأمة مجمعة كما تقدم أن الاستنباط مرتبة أهل الاجتهاد المطلق ومع هذا لو اجتمعت شروط الاجتهاد في رجل ، لم يجب على أحد الأخذ بقوله دون نظر، قال الشيخ تقي الدين من أوجب تقليد الإمام بعينه دون نظر انه يستتاب، فان تاب وإلا قتل انتهى...وان قلتم أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم كابن تيميه وابن القيم لأنهم سموا ذلك شركاً (قلنا) هذا حق ونوافقكم على تقليد الشيخين أن هذا شرك ولكن هم لم يقولوا كما قلتم أن هذا شرك اكبر يخرج من الإسلام، وتجري على كل بلد هذا فيها أحكام أهل الردة بل من لم يكفرهم عندكم فهو كافر تجري عليه أحكام أهل الردة ولكنهم رحمهم الله ذكروا أن هذا شرك وشددوا فيه ونهوا عنه ولكن ما قالوا كما قلتم ولا عشر معشاره ولكنكم أخذتم من قولهم ما جاز لكم دون غيره بل في كلامهم رحمهم الله ما يدل على إن هذا الأفاعيل شرك اصغر وعلى تقدير أن في بعض أفراده ما هو شرك اكبر على حسب حال قائله ونيته فهم ذكروا في بعض مواضع من كلامهم أن هذا لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الذي يكفر تاركها كما يأتي في كلامهم إن شاء الله مفصلا ولكن المطلوب منكم هو الرجوع إلى كلام أهل العلم

والوقوف عند الحدود التي حدوها فان أهل العلم ذكروا في كل مذهب من مذاهب الأقوال والأفعال التي يكون بها المسلم مرتداً ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد ولم يقولوا من تمسح بالقبور واخذ من ترابها فهو مرتد كما قلتم انتم فان كان عندكم شيء فبينوه فانه لا يجوز كتم العلم ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماع وكفرتم أمة محمد ﷺ كلهم حيث قلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر ومعلوم عند الخاص والعام أن هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين وعند أهل العلم منهم إنها ملأت بلاد المسلمين من اكثر من سبعمائة عام وان من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم لم يكفروا أهل هذه الأفاعيل ولم يجروا عليهم أحكام المرتدين بل اجروا عليهم أحكام المسلمين بخلاف قولكم حيث أجريتم الكفر والردة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتى الحرمين الشريفين اللذين اخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة الصريحة انهما لا يزالا بلاد إسلام وانهما لا تعبد فيهما الأصنام وحتى أن الدجال في آخر الزمان يطأ البلاد كلها إلا الحرمين كما تقف على ذلك إن شاء الله في هذه الرسالة فكل هذه البلاد عندكم بلاد حرب كفار أهلها لأنهم عبدوا الأصنام على قولكم

وكلهم عندكم مشركون شركا مخرجاً عن الملة فإنا لله وإنا إليه راجعون" .

٤- مخالفة الوهابية لجمهور المفسرين في تفسير آيات الصفات:

للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ -٩١١ هـ) في كتابه الإتقان في علوم القران فصل في المحكم والمتشابه، نذكر منه مثال واحد فقط لما ذكره عن منهج المفسرين في تفسير آيات الصفات ، فقد قال ...ومن ذلك: (الساق) **في قوله تعالي " يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ..." (القلم ٤٢) ومعناه: عن شدة وأمر عظيم، كما يقال : قامت الحرب علي ساق، وقد أخرج الحاكم في المستدرك: من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه سئل عن قوله: " يوم يكشف عن ساق " فقال: إذا خفي عليكم شيء من القران فابتغوه في الشعر، فانه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق انه شر قد سن لي قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا علي ساق

قال ابن عباس: " هذا يوم كرب وشدة "والعناق: الداهية والأمر الشديد والوهابية للأسف الشديد تفسر الساق علي ظاهره بأنه ساق الله، سبحانه وتعالي عما يقولون ولهذا انتقد ابن باز، العالم الكبير الأستاذ محمد على الصابوني صاحب تفسير "صفوة التفاسير" الذي تلقته الأمة الإسلامية بالقبول والاستحسان فقد قال أبن باز في سياق انتقاده للصابوني ما يلي: " ... ثم ذكر الصابوني -هداه الله - تنزيه الله

سبحانه عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة ، وهذا ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم ، فإن أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ ولا يثبتون له إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ولم يرد في النصوص نفي هذه الأمور ولا إثباتها فالواجب الكف عنها وعدم التعرض لها لا بنفي ولا إثبات، ويغني عن ذلك قول أهل السنة في إثبات صفات الله وأسمائه أنه لا يشابه فيها خلقه وأنه سبحانه لا ند له ولا كفوّ له. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث).

وهذا هو معنى كلام غيره من أئمة السنة وأما ما وقع في كلام البيهقي رحمه الله في كتابه: (الاعتقاد) من هذه الأمور فهو مما دخل عليه من كلام المتكلمين وتكلفهم، فراج عليه واعتقد صحته، والحق أنه من كلام أهل البدع لا من كلام أهل السنة. أهل السنة يثبتون لله عز وجل ما أثبته لنفسه دون أن يشبهوه بخلقه،...ثم قال الصابوني في مقاله الثاني ما نصه:(أما ما يتخيله بعض الجهلة من أدعياء العلم اليوم الذين يصورون الله بصورة غريبة عجيبة ويجعلون الله تعالى كأنه جسم مركب من أعضاء وحواس له وجه ويدان وعينان وله ساق وأصابع وهو يمشي وينزل ويهرول ، ويقولون في تقرير هذه الصفات أن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على

الدرج - يريد بزعمه أن يقرر مذهب السلف الصالح للتلاميذ ويثبت لهم حقيقة معنى الاستواء والنزول وأنه جلوس لا كما يتأوله المؤولون- فهذا والعياذ بالله عين الضلالة؛ لأنه شبه وجسم وهو كمن فر من حفرة صغيرة ليقع في هوة عميقة يتحطم فيها ويهوي فيها إلى مكان سحيق) ا . هـ. وأقول: أن الأخ الصابوني - هداه الله - قد جمع في هذا الكلام حقا وباطلا يعلمه كل صاحب سنة. وإليك أيها القارئ المؤمن التفصيل في ذلك: أما الوجه واليدان والعينان والساق والأصابع فقد ثبتت في النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة، وقال بها أهل السنة والجماعة وأثبتوها لله سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه. وهكذا النزول والهرولة جاءت بها الأحاديث الصحيحة ونطق بها الرسول ﷺ وأثبتها لربه عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه من غير مشابهة لخلقه ولا يعلم كيفية هذه الصفات إلا هو سبحانه. فإنكار الصابوني هذه الصفات إنكار على النبي ﷺ ، بل إنكار على الله عز وجل؛ لأنه سبحانه ذكر بعضها في كتابه العزيز وأوحى البعض الآخر لنبيه ﷺ ، فإنه ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر عن الله سبحانه بما أوحى إليه، فالصابوني هداه الله تارة يقول إنه يلتزم بمذهب أهل السنة وتارة يناقضه ويخالفه، فإنا لله وإنا إليه راجعون ونسأل الله لنا وله الهداية والرجوع إلى الحق .

المــراجع

١ - القرآن الكريم .
٢ - الأحاديث النبوية الشريفة .
٣ - إبراء الذمة حول بتحقيق القول حول افتــراق الأمــة لفضــيلة الأستاذ محمد إبراهيم عبد الباعث الحسينى الكتانى .
٤ - مناسك الحج والعمرة تأليف محمد ناصر الدين الألبانى .
٥ - مجموع الفتاوى لابن تيمية .
٦ - شبه جزيرة العرب (نجد) تأليف محمود شاكر .
٧ - هؤلاء هم الخوارج تأليف عبد الله القحطانى .
٨ - فتنة الوهابية من كتاب الفتوحات الإسلامية للشيخ أحمد بن زين بن أحمد دحلان المكى .
٩ - الصواعق الإلهية فى الرد علــى الوهابيــة تــأليف ســليمان عبد الوهاب .
١٠ - الإتقان فى علوم الق{آن للحافظ جلال الدين السيوطى .

* توجد مراجع أخرى تمت الإشارة إليها فى مواضعها بالكتاب .

ملاحظة : مصدر مذكرات مستر همفر شبكة الإنترنت الموقع :
http://mitglied.lycos.de/somuru/kaynakca/hempher/
وهو أحد مئات المواقع عن هذا الموضوع ويمكن البحث عنها من محرك البحث www.gogle.com بحث عن:
Memoirs of Mr.Hempher

ملحق الكتاب

مذكرات مستر هَمْفرْ

رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية

ترجمه إلى العربية
الدكتور ج.خ

الباب الأول
المخططات البريطانية في البلاد الإسلامية

السيطرة على البلاد الإسلامية:

كانت دولة بريطانيا العظمى تفكر في وقت طويل حول إبقاء الإمبراطورية واسعة كبيرة كما هي عليها الآن من إشراق الشمس على بحارها حين تشرق وتغرب الشمس في بحارها حين تغرب، فإن دولتنا كانت صغيرة بالنسبة إلى المستعمرات الكثيرة التي كنا نسيطر عليها في الهند وفي الصين وفي الشرق الأوسط وغيرها، صحيح إننا لم نكن نسيطر سيطرة فعلية على أجزاء كبيرة من هذه البلاد لأنها كانت بيد أهاليها، إلا أن سياستنا فيها كانت سياسة ناجحة وفعالة، وكانت في طريق سقوطها بأيدينا كلية، فكان اللازم علينا أن نفكر مرتين:

١- مرة لأجل إبقاء السيطرة على ما تم السيطرة عليه فعلاً.

٢- ومرة لأجل ضم ما لم تتم السيطرة عليه فعلاً إلى ممتلكاتنا ومستعمراتنا.

وزارة المستعمرات أداة هذا المخطط

خصصت وزارة المستعمرات لكل قسم من أقسام هذه البلاد لجاناً خاصة لأجل دراسة هذه المهمة، وكنت أنا من حسن الحظ موضع ثقة الوزير منذ دخلنا هذه الوزارة.

١-شركة الهند الشرقية:

عهدَ إلى بمهمة (شركة الهند الشرقية) التي كانت مهمتها في الظاهر تجارية بحتة، وفي الباطن تعزيز سبل السيطرة على الهند وعلى طرقها الموصلة إلى هذه الأراضي الشاسعة بشبه القارة. كانت الحكومة واثقة من الهند حيث القوميات المختلفة

والأديان المتشتتة، واللغات المتباينة والمصالح المتضاربة، كما كانت الحكومة واثقة من الصين حيث إن البوذية والكنفوشيوسية الغالبة على هذه البلاد لم تكونا بحيث يخشى من قيامهما لأنهما دينان ميتان يهتمان بجانب الروح، فلا صلة لهما بجانب الحياة، فكان من المستبعد أن يسرى الشعور بالوطنية في أهالي هاتين المنطقتين، ولذلك لم يكن يقلق بال حكومة بريطانيا العظمى هاتان المنطقتان، نعم: لم نكن غافلين عن إمكان تطور المستقبل، ولذا كنا نضع الخطط الطويلة الأمد لأجل سيطرة التفرقة والجهل، والفقر، وأحياناً المرض أيضاً- على هذه البلاد، وكنا لا نجد صعوبة في تغطية نوايانا بغطاء من المشتبهات النفسية لأهالي هذه البلاد براق في ظاهره متين في واقعه، فكنا بذلك نطبق المثل البوذي القديم (دع المريض يشعر بحبه للدواء وإن كان مرّ المذاق).

٢- دولة الخلافة الإسلامية:

كان الذي يقلق بالنا هي البلاد الإسلامية، فإنا وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض (دولة الخلافة الإسلامية) عدة من المعاهدات كلها كانت في صالحنا، وكانت تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل يلفظ نفسه الأخير في أقل من قرن.

٣-الحكومات في بلاد الفرس:

كذلك كنا قد عقدنا مع حكومة الفرس- سراً- عدة معاهدات، وكنا قد زرعنا الجواسيس والعملاء في هذين البلدين (دولة الخلافة الإسلامية ودولة الفرس) ، وكانت الرشوة، وفساد الإدارة، وانشغال ملوكها بالنساء الحسناوات قد نخرت في جسم هذين البلدين إلا أننا لم نكن نثق بالنتائج لعدة أسباب.

أسباب تخــوف بريطانيـا

١- قـوة الإسلام في نفوس أبنائـه:

فإن الرجل المسلم يلقي قياده إلى الإسلام بكل صلابة حتى إنك ترى الإســلام في نفس المسلم بمنزلة المسيحية في نفوس القساوسة والرهبان، وتزهق نفوسهم ولا تخــرج المسيحية منها.

الشيعة في البلاد الفارسية أخطـر حيـث إنـهم يـرون المسيحيين كفـاراً نجسـين، فـإن المسيحي عند الشيعي بمنزلة القذارة المتعفنة في يد أحدنا حيث يصرف همته في إزالتها. وذات مرة سألت أحدهم: لماذا تنظرون إلى المسيحي بهذا المنظار؟ قال: إن نبي الإسلام كان رجلاً حكيماً وأراد أن يطوق كل كافر بدائرة من الضغط الأدبي لكي يحس بـالضيق والوحشة ليكـون من أسباب هدايته إلى الله وإلى الدين الصحيـح، كمـا أن الحكومـة إذا أحست من إنسان الخطر طوقته بدائرة من المقاطعة حتى يرجـع إلى الطاعـة والانقيـاد، والنجاسة التي ذكرتـها هـي نجاسـة معنويـة لا ماديـة ظاهريـة، وهـي ليسـت خاصـة بالمسيحية بل تشمل كل كافر حتى المجوس الذين هم فارسيون من القديم هم نجـس في منطق الإسلام.

قلت له: حسنا، ولكن لماذا المسيحيون نجس وهم يعتقدون بالله والرسالة ويوم المعـاد؟

قال: لأمرين:

الأول: إنهم ينكرون نبينا (محمداً) وهذا يعني إنهم يقولون إن محمداً كاذب، ونحن في مقابل هذا الاتهام نقول أنتم أيها المسيحيون نجس طبقاً لقانون العقـل الحـاكم بـأن من آذاك فلك أن تؤذيه.

والثاني: إنهم ينسبون إلى أنبياء الله نسباً غير لائقـة مثل إنهم يقولون: إن المسيح كـان يشرب الخمر، وكان ملعوناً لأنه علّق على الخشبة.

قلت له في دهشة: لا يقول المسيحيون هكذا، قال: أنت لا تعلم إنهم في (الكتاب المقدس) عندهم يقولون ذلك. فسكت وأنا واثق بأن الرجل كان كاذباً في الأمر الثاني وإن كان صادقاً في الأمر الأول، ولم أرد أن أطاول معه النقاش لأني خشيت أن تثار حولي شبهة حيث كنت أنا في الزي الإسلامي، وكنت أتجنب الزاوية الحادة دائماً.

٢- الإسلام دين:

نقول حقيقة: إن الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة، ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد، فإن نخوة السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي مهما كان من ضعف وانحطاط. ولم يكن بإمكاننا أن نزيف تاريخ الإسلام حتى نشعر المسلمين بأن السيادة التي حازوها كانت بفعل ظروف خاصة قد ولت إلى غير رجعة.

٣- تحرك الوعي الإسلامي:

تخوفنا لأننا لم نكن نأمن من تحرك الوعي في نفوس آل عثمان وحكام فارس، بما يوجب فشل خططنا الرامية إلى السيطرة، صحيح أن الحكومتين قد بلغتا من الضعف مبلغاً كبيراً كما ألمحنا إليه إلا أن وجود حكومة مركزية يواليها الناس وبيدها السيادة والمال والسلاح يجعل الإنسان غير آمن.

٤- شدة القلق من علماء المسلمين:

لقد كنا دائماً شديدي القلق من علماء المسلمين، فعلماء الأزهر، وعلماء العراق، وعلماء فارس كانوا أمنع سداً أمام آمالنا، فإنهم كانوا في غاية الجهل بمبادئ الحياة العصرية، وقد جعلوا نصب أعينهم الجنة التي وعدهم بها القرآن، فكانوا لا يتنازلون قدر شعرة عن مبادئهم، وكان الشعب يتبعهم والسلطان يخشاهم خوف الفئران من الهرة، صحيح أن أهل السنة كانوا أقل إتباعاً لعلمائهم، فإنهم يقيمون الولاء بين السلطان وبين شيخ الإسلام، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاءً للعلماء لأنهم يخلصون الولاء

للعالم فقط، ولا يعيرون السلطان أهمية كافية، إلا أن هذا الفرق لم يكن ليخفف شيئاً من القلق الذي كان يساور وزارة المستعمرات، بل كل حكام بريطانيا العظمى.

مؤتمرات لإزالة أسباب التخوف

كنا قد عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتمس الحلول الكافية لهذه المشاكل المقلقة، لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا إلا الطريق المسدود، وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام عن العملاء والجواسيس مخيبة للآمال، كما كانت نتائج المؤتمرات كلها صفرا أو تحت الصفر، لكننا لم نكن ندع المجال لليأس فينا، حيث عودنا أنفسنا النفس الطويل، والصبر اللا متناهي. وأذكر ذات مرة عقدنا مؤتمرا حضره الوزير بشخصه وأكبر القساوسة، وعدد من الخبراء، كان عددنا جميعا عشرين شخصا، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات، وانتهينا بدون أية نتيجة، إلا أن القس قال: لا تنزعجوا، فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولأتباعه، وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة،فعلينا أن نتسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المسلمين ولو وصلنا إلى النتيجة بعد قرون، فإن الآباء يزرعون للأبناء.

وحتى – ذات مرة – عقد في الوزارة مؤتمر حضره ممثلون من كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا، وكان مؤتمرا في أعلى المستويات، وكان الحاضرون لفيفا من الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين، وكان من حسن حظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير، وعرض المؤتمرون مشاكل المسلمين عرضا وافيا.

دراسة سبل تمزيق المسلمين وسلخهم عن عقيدتهم:

ذكروا في هذا المؤتمر سبل تمزيق المسلمين وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حظيرة الإيمان كما رجعت أسبانيا إليها بعد قرون من غزو المسلمين البرابرة لها، لكن النتائج لم تكن بالمستوى المطلوب، وقد كتبت أنا كل ما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي: (إلى ملكوت المسيح) إنه من الصعب أن تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق الأرض وغربها، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب مهما كان الثمن.

المسيحية لم تأت إلا لتنتشر:

كان من أهدافنا أن المسيحية لم تأت إلا لتنتشر، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه، أما محمد فقد ساعده ظرف انحطاط العالمين الشرقي والغربي، وظرف الانحطاط إذا ولى فقد يذهب معه أيضا ما رافقه من ويلات، ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المسلمون وارتفعت بلاد المسيح، فآن الوقت لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون، وها هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة (يعني بذلك محو الإسلام) .

الباب الثاني

مستر همفر مبعوث المخابرات البريطانية لبعض بلاد المسلمين

المبعوثون من وزارة المستعمرات:

أوفدتني وزارة المستعمرات عام (١١٢٢هـ ، ١٧١٠م) إلى كل من مصر، والعراق، وطهران، والحجاز، والآستانة، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام، وبعث في نفس الوقت تسعة آخرون من خيرة الموظفين لدى الوزارة ممن تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس لسيطرة الحكومة إلى سائر الأجزاء للإمبراطورية، وسائر بلاد المسلمين، وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي، والمعلومات اللازمة، والخرائط الممكنة، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل، ولم أنس كلمة السكرتير حين ودعنا باسم السيد المسيح وقال: إن على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا، فأبدوا ما عندكم من طاقات للنجاح.

مستر همفر مبعوث لدولة الخلافة:

فأبحرت أنا ميمماً وجهة الآستانة - مركز الخلافة الإسلامية وكانت مهمتي مزدوجة، وحيث كان من المفروض أن أكمل تعلمي للغة التركية - لغة المسلمين هناك - فقد كنت تعلمت شيئاً كثيراً من ثلاث لغات في لندن: اللغة التركية، ولغة العرب (لغة القرآن) واللغة الفلهوية لغة أهل فارس، لكن تعلم اللغة شيء، والسيطرة على اللغة حتى يتمكن الإنسان أن يتكلم مثل لغة أهل البلاد شيء أخر، فبينما لا يستغرق الأول إلا سنوات قلائل، يستغرق الأمر الثاني أضعاف ذلك الوقت، فإن المفروض أن أتعلم اللغة بكافة دقائقها حتى لا تثار حولي شبهة.

ولكنني لم أكن أقلق لهذه الجهة لأن المسلمين عندهم تسامح ورحابة صدر وحسن ظن كما علمّهم نبيهم، فالشبهة عندهم لا تكون كالشبهة عندنا، ومن طرف آخر فإن حكومة الأتراك لم تكن في المستوى اللائق لكشف الجواسيس والعملاء، فقد كانت حكومة آخذة في الضعف والهزل مما يؤمن جانبنا.

مستر همفر يدّعي الإسلام:

وبعد سفرة مضنية وصلت إلى الآستانة وسميت نفسي (محمداً) وأخذت أحضر المسجد - مكان اجتماع المسلمين لعبادتهم - وراقني النظام والنظافة والطاعة التي وجدتها عندهم، وقلت في نفسي: لماذا نحارب نحن هؤلاء البشر؟ ولماذا نعمل من أجل تمزيقهم وسلب نعمتهم؟ هل أوصانا المسيح بذلك؟ لكنني رجعت فوراً واستنفرت من هذا التفكير الشيطاني، وجددت العزم على أن أشرب إلى آخر الكأس.

وسائل مستر همفر لممارسة نشاطه:

١- سعيه لتحصيل العلم:

وقد التقيت هناك بعالم طاعن في السن أسمه (أحمد أفندم) وكان من طيب النفس ورحابة الصدر وصفاء الضمير وحب الخير، ما لم أجده في أحسن رجال ديننا، وكان الشيخ يحاول ليله ونهاره في أن يتشبه بالنبي محمد، فكان يجعله المثل الأعلى، وكلما ذكره فاضت عيناه بالدموع، ومن حسن الحظ إنه لم يسألني - حتى مرة واحدة - عن أصلي ونسبي وإنما كان يخاطبي (محمد أفندي) ويعلمني ما كنت أسأله ويحنو عليّ حنواً كبيراً حيث عرف أني ضيف في بلادهم جئت لأن أعمل ولأجل أن أكون في ظل السلطان الذي يمثل النبي محمداً فقد كانت هذه حجتي في البقاء في الآستانة.

وكنت قد قلت للشيخ: أني شاب قد مات أبي وأمي وليس لي أخوة، وتركوا لي شيئاً من المال ففكرت أن أكتسب وأن أتعلم القرآن والسنة، فجئت إلى مركز الإسلام لأحصل

على الدين والدنيا، فرحب بي الشيخ كثيراً وقال لي ما نصه – وقد كتبته بلفظه: إن الواجب أن نحترمك لعدة أسباب:

- لأنك مسلم والمسلمون أخوة.

- ولأنك ضيف وقد قال رسول الله (ﷺ) "أكرموا الضيف ".

- ولأنك طالب علم والإسلام يؤكد على إكرام طالب العلم.

- ولأنك تريد الكسب وقد ورد نص بأن (الكاسب حبيب الله).

وقد أعجبت أنا بهذه الأمور أيما إعجاب، وقلت في نفسي يا ليت كانت المسيحية تعي مثل هذه الحقائق النيرة، لكنني تعجبت كيف إن الإسلام في هذه الرفعة شمله الضعف والانحطاط على أيدي هؤلاء الحكام المغرورين وهؤلاء العلماء الجهلة بالحياة.

٢- تعلم القرآن:

قلت للشيخ: إني أريد أن أتعلم القرآن المبين، فرحب الشيخ بالطلب، وأخذ يعلمني من سورة (الحمد) ويفسر لي المعاني، وقد كنت أجد مشقة في النطق ببعض ألفاظها وأحياناً بلغت المشقة منتهاها، وأذكر أني لم أتعلم النطق بجملة: (..وعلى أمم ممن معك..) (هود:٤٨)إلا بعد تكرارها عشرات المرات في ظرف أسبوع، حيث قال الشيخ: اللازم عليك الإدغام حتى تتولد ثماني ميمات. وكيفما كان فقد قرأت القرآن عنده في مدة سنتين كاملتين من أوله إلى آخره، وكان إذ أراد تعليمي توضأ وضوء الصلاة وأمرني بالتوضؤ كما كان هو وأن نجلس إلى جهة القبلة.

٣- ممارسة الوضوء والصلاة:

والجدير بالذكر أن (الوضوء) عند المسلمين جملة من الاغسال، فأولاً يغسلون الوجه، وثانياً اليد اليمنى من الأصابع إلى المرفق وثالثاً اليد اليسرى من الأصابع إلى المرفق ورابعاً يمسحون الرأس وخلف الأذنين والرقبة، وخامساً يغسلون الرجلين.

ويقولون: الأفضل أن يدير الشخص الماء في فمه، وأن يسحب الماء إلى الأعلى في أنفه قبل البدء في الوضوء.

٤- استعمال السواك:

وقد كنت أنزعج انزعاجاً كبيراً من السواك وهي عودة يدخلونها في أفواههم لأجل تنظيف الأسنان قبل الوضوء، فقد كنت أعتقد أن هذه العودة تضر الأسنان والفم، وكانت أحيانا تجرح الفم ويخرج الدم منه، لكني كنت مجبوراً أن أفعل ذلك لأنها عندهم سنة مؤكدة أمر بها نبيهم محمد وهم يذكرون لها فضائل كثيرة.

٥- حياته اليومية في الآستانة:

لقد كنت أيام إقامتي في الآستانة أنام عند خادم المسجد لقاء ما أعطيه من المال وكان إنساناً عصبي المزاج وأسمه (مروان أفندي) وهو اسم أحد أصحاب الرسول محمد، وكان الخادم يعتز بهذا الاسم المبارك، وكان يقول لي: إن رزقت ولداً سمه (مروان) لأنه من كبار الشخصيات المجاهدين في الإسلام.

وكنت أتعشى هناك عند الخادم حيث كان يهيئ لي الطعام، وأيام الجمعة (وهي عيد المسلمين) لم أكن أذهب إلى العمل، أما سائر الأيام فقد كنت أذهب إلى نجار هناك أشتغل عنده لقاء أجر زهيد كان يدفعه لي أسبوعياً، وحيث كان عملي في فترة الصباح فقط فقد كان يجري لي نصف أجور سائر عماله، وكان اسم النجار (خالد) وكان يثرثر في أوقات فراغه عن فضائل (خالد بن الوليد) الفاتح الإسلامي الذي صحب محمداً النبي وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً، لكنه كان يحز في نفسه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد.

وكان خالد صاحب المحل سيئ الأخلاق عصبي المزاج إلى أبعد حد، وكان يطمئن مني اطمئناناً لم أدر سببه، ولعله وثق بي حيث كنت سامعاً مطيعاً له، لا أناقشه في شئونه الدينية، ولا في شئون دكانه.

كنت أتغذى في الدكان، ثم أذهب للصلاة في المسجد ثم أبقى في المسجد إلى وقت العصر، فإذا فرغت من صلاة العصر ذهبت إلى دار (الشيخ أحمد) وأبقى معه مدة ساعتين أتعلم عنده القرآن، واللغة التركية، واللغة العربية، وفي كل جمعة كنت أدفع له زكاة ما حصلت عليه في الأسبوع من المال، وفي الحقيقة الزكاة كانت رشوة مني له لاستمرار علاقتي به، ولأجل أن يعلمني أفضل تعليم، وكان هو لا يقصر في تعليمي القرآن ومبادئ الإسلام ودقائق اللغتين العربية والتركية.

ولما علم الشيخ أحمد أني أعزب طلب إلى أن يزوجني إحدى بناته، لكنني أبيت بحجة أني (عنين) لا أملك ما يملكه الرجال، ولم أبد له هذا العذر إلا بعد أن أصر وكاد أن تنفصم علاقتي معه من أجل إنه كان يقول: الزواج سنة الرسول، وقد قال الرسول: "من رغب عن سنتي فليس مني" وحينذاك لم أجد بدا من إظهار هذا المرض (المكذوب) له، فأقتنع الشيخ وعادت العلاقة كما كانت من الود والصفاء.

عودة مستر همفر إلى لندن:

بعد إتمام سنتين من مكثي في الآستانة استأذنت للعودة إلى وطني ولكن الشيخ لم يأذن قائلاً: لماذا الرجوع ؟ إن الآستانة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقد جمع الله فيها بين الدنيا والدين، وأردف: إنك قلت سابقاً إنه مات أبوك وأمك وليس لك أخوة فأجعل الآستانة وطنك.. وكان الشيخ يصر عليّ في البقاء لأنسه بي، وكنت أنا أيضاً أنست به أنساً كبيراً، لكن الواجب الوطني كان يجبرني بالرجوع إلى لندن لتقديم تقرير مفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة، ولأتزود بأوامر جديدة حول مهمتي. وقد

جرت العادة - طيلة مكثي في الآستانة - أن أقدم كل شهر تقريراً عن حالي وعن التطورات وعما شاهدته إلى وزارة المستعمرات.

وفي يوم الوداع مع الشيخ انهمرت عيناه بالدموع، وودعني قائلاً: الله معك يا ولدي، وإذا عدت إلى هذا البلد وأنا ميت فأذكرني، وسوف نلتقي عند رسول الله ﷺ في المحشر، وفي الواقع أنني تأثرت تأثراً بالغاً وجرت دموعي حارة، لكن الواجب كان فوق العواطف.

أحوال بقية المبعوثين:

كان الرفاق التسعة الآخرون تلقوا أوامر من الوزارة لحضورهم إلى لندن كما تلقيت أنا أيضاً، لكن من سوء الحظ لم يرجع منا إلا ستة فقط.

أما الأربعة الآخرون فقد صار أحدهم مسلماً وبقى في مصر - كما أخبرنا بذلك السكرتير - لكن السكرتير أظهر ارتياحه بأنه لم يفش السر.

كما التحق أحدهم بروسيا - وقد كان هذا من أصل روسي - وكان السكرتير يبدي قلقاً شديداً حوله، لا لأنه التحق بالوطن الأم، ولكن من أجل أن السكرتير كان يظن أن الرجل كان جاسوساً من قبل الروس في وزارة المستعمرات فلما انتهت مهمته رجع إلى بلاده.

وكان الثالث منهم مات في (عمارة) بلد طرف (بغداد) على أثر وباء اجتاح البلاد هناك على ما أخبرنا السكرتير بذلك.

أما الرابع فلم يعلم عن مصيره إذ راقبته الوزارة حتى وصوله إلى صنعاء في اليمن من بلاد العرب وكانت تقاريره ترسل بانتظام إلى الوزارة فترة سنة، لكنها انقطعت بعد ذلك، وكلما حاولت الوزارة الإطلاع على أحواله لم تحصل على شيء، وقد كانت الوزارة

تعتبر خسارة أربعة من عشرة كارثة حيث كنا نحسب لكل إنسان حساباً دقيقاً، فإنا أمة قليلة العدد كبيرة المهام، ففقد كل إنسان من هذا الطراز كان كارثة عندنا.

مستر همفر كان ترتيبه الثالث:

وبعد أن سمع السكرتير أوليات تقاريري، أرسلني إلى مؤتمر عقد لأجل الاستماع إلى تقاريرنا - نحن الستة - وقد اجتمع حشد كبير من وزارة المستعمرات برئاسة الوزير نفسه لاستماع تقاريرنا، وقدم زملائي تقارير أولية عن المهمة التي أوكلت إليهم، كما قدمت أنا تقريراً التقطت فيه رؤوس الأقلام، واستحسن أعمالي الوزير والسكرتير وبعض الحاضرين، لكني لاحظت أنني كنت الثالث من حيث جودة العمل، حيث كان الزميلان (جورج بلكود) و(هنري فانس) في الدرجتين الأولى والثانية من حيث جودة العمل.

لقد كنت نجحت نجاحاً باهراً في تعلم التركية والعربية وتعلم القرآن والشريعة، لكني لم أحرز نجاحاً في تقديم تقرير يدل الوزارة على مواقع الضعف في الدولة العثمانية، وبعد ما انفض المجلس الذي دام ست ساعات لفت السكرتير نظري إلى هذه النقطة من الضعف، قلت له: إن مهمتي كانت تعلم اللغة والشريعة والقرآن، ولذا فإني لم أبذل وقتاً كافياً لغير ذلك وسوف أكون عند حسن ظنكم في السفرة القادمة إن أوليتم ثقتكم بي، قال السكرتير: لا شك إنك ناجح لكني آمل منك أن تحرز قصب السبق في هذه الحلبة.

مهمة مستر همفر تنحصر في هدفين:

١- أن تجد نقطة الضعف عند المسلمين، والتي نتمكن بها من أن ندخل في جسمهم ونبدد أوصالهم، فإن أساس النجاح على العدو هو هذا.

٢- أن تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف، فإن قدرت على المهمة فسوف أطمئن بأنك أنجح العملاء، وستستحق وسام الوزارة.

توجه مستر همفر إلى العراق:

بقيت في لندن مدة ستة أشهر وتزوجت بابنة عمي (ماري شواي) التي كانت تكبرني سنة، فقد كان عمري إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة بينما كان عمرها ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت فتاة متوسطة الذكاء بارعة الجمال وثقافتها عادية، وقضيت أجمل أيام حياتي معها تلك المدة وحملت مني، وقد كنت أنتظر الضيف الجديد بفارغ الصبر، وإذا بالأوامر الصارمة تصدر من الوزارة في أن أتوجه إلى إقليم العراق البلد العربي الذي استعمرته الخلافة منذ زمن طويل.

وقد أسفت لهذه الأوامر في وقت أنتظر فيه ولدي، لكن اهتمامي ببلدي وحبي للشهرة بين زملائي كان يفوقان عواطف الزوجية والولد، ولذا لم أتردد في القبول رغم إلحاح زوجتي أن أرجئ الأمر إلى بعد ولادتها، ويوم فارقتها بكيت أنا وبكت هي بكاءً مراً، وقالت لي: لا تنقطع عني بإرسال الرسائل كما سأخبرك أنا أيضاً عبر الرسائل بعشنا الذهبي الجديد، وهذه الكلمة كانت عاصفة على قلبي حتى أني صممت أن ألغي السفرة، لكني تملكت عواطفي وودعتها، وخرجت إلى الوزارة لأحصل على الإرشادات الأخيرة.

مهمة مستر همفر إلقاء الفتن بين المسلمين

١- مستر همفر يلقي الفتن بين الشيعة:

وبعد ستة أشهر وجدت نفسي في البصرة من العراق، وهو بلد عشائري، وأهله مختلطون من السنة والشيعة - الجناحين الإسلاميين - كما إنهما مختلطون من العرب والفرس وفيهم قلة من المسيحيين.

ولأول مرة في طول حياتي ألتقي بالشيعة وبالفرس، ولا بأس أن أذكر شيئاً عن الشيعة والسنة، فالشيعة هم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب- وهو صهر رسولهم على أبنته فاطمة وكان في نفس الوقت ابن عم الرسول أيضاً- وتقول الشيعة أن رسولهم محمداً عين علياً خليفة من بعده وقال بأن عليا وأولاده الأحد عشر خليفة بعد خليفة.

وأني أظن أن الحق مع الشيعة في خلافة علي والحسن والحسين، لأن الثابت من التاريخ الإسلامي - حسب مطالعاتي - أن عليا كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله للقيادة، ولا أستبعد أن يكون الرسول (محمد) قال بأن الحسن والحسين أيضاً إمامان، وهذا لا ينكره أهل السنة أيضاً، لكني أشك في نفس الوقت بأن أولاد الحسين (التسعة) أيضاً عينهم الرسول (محمد) خلفاء له، إذ كيف يعلم (محمد) المستقبل، لأنه قد مات والحسين طفل، فكيف يعلم بأنه سيكون للحسين أولاد ويكونون مسلسلين إلى تسعة.

(نعم) لو كان (محمد) رسولاً حقاً لكان من الممكن أن يعلم كل ذلك بإرشاد من الله كما كان المسيح يخبر بالمستقبل، لكن نبوة محمد مشكوكة عندنا نحن المسيحيين.

إن المسلمين يقولون: بأن القرآن دليل نبوة (محمد) لكني قرأت القرآن فلم أجد فيه دليلاً، إنه لا شك كتاب رفيع، بل هو أرفع مستوى من التوراة والإنجيل، ففيه دساتير وأنظمة وأخلاقيات وغير هذه، لكن هل هذا وحده كفيل بالدلالة على صدق (محمد).

أنني متحير في أمر (محمد) أشد التحير، إن رجلاً بدوياً لا يقرأ ولا يكتب كيف يمكنه أن يأتي بهذا الكتاب الرفيع، وهو شخصياً يكون ذا خلق وذكاء لم يعهد مثلهما في أي عربي دارس؟ فكيف بالعربي البدوي الذي لم يقرأ ولم يكتب؟ هذا من جانب، ومن جانب آخر: فهل يكفي مثل ذلك للتدليل على نبوته ؟

لقد كنت دائم التطلع لكي أتعرف على هذه الحقيقة، وطرحت - ذات مرة - هذا الموضوع مع أحد القساوسة في لندن، لكنه لم يأت بجواب مقنع، وإنما تكلم عن تعصب

وعناد، كما أني مرات فتحت هذا البحث مع الشيخ أحمد في تركيا فلم يأت بجواب مقنع لي، لكن من الحق أن أقول: إني لم أقدر أن أتكلم مع الشيخ بصراحة خوفاً من أن ينكشف أمري، أو يشك في.

وعلى أي حال: فإنني أقدر (محمداً) تقديراً كبيراً، إنه لا شك كان من طراز أنبياء الله الذين نقرأ عنهم في الكتب، لكنني غير مقتنع بنبوته إلى الآن، ولو فرضنا أنه لم يكن نبياً، لكان من المستحيل أن يعتقد الإنسان الذي يحترم ضميره أنه مثل سائر العباقرة، إنه لا شك كان فوق العباقرة، وأرفع من الأذكياء.

٢- مستر همفر يلقي الفتن بين السنة:

أما أهل السنة فإنهم يقولون: بأن المسلين رأوا - بعد الرسول - بأن أبا بكر ثم عمر ثم عثمان أصلح للخلافة من علي، ولذلك تركوا أمر (محمد) واتخذوا هؤلاء خلفاء للرسول.

إن مثل هذا النزاع موجود في كل دين - وفي المسيحية بصورة خاصة - لكنني لا أعلم ما هو المبرر لبقاء هذا النزاع، فقد مات (عليّ وعمر) وعلى المسلمين - (إن كانوا عقلاء) - أن يفكروا في هذا اليوم لا في الماضي السحيق.

ذات مرة ذكرت لبعض رؤسائي في الوزارة اختلاف السنة والشيعة وقلت له: إنهم لو كانوا يفهمون الحياة لتركوا النزاع ووحدوا كلمتهم، فنهرني الرئيس قائلاً: الواجب عليك أن تزيد الشقة، لا أن تحاول جمع كلمة المسلمين.

وبهذه المناسبة إن السكرتير قال لي في إحدى الجلسات التي اجتمعت معه قبل سفرتي إلى العراق: أني أعلم يا همفر أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله هابيل وقابيل وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح.

١- فمن نزاعات لونية.

٢- ومن نزاعات قبلية.

٣- ومن نزاعات إقليمية.

٤- ومن نزاعات قومية.

٥- ومن نزاعات دينية.

ومهمتك في هذه السفرة أن تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين، وتعرف البركان المستعد للانفجار منها، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك، وأن تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى.

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاه إلا بإلقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات، كما أننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين رعاياها، وإلا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من أن نسيطر على أمة كبيرة العدد، فأجتهد بكل قواك أن تجد الثغرة وأن تدخل من الثغرة، وليكن على علمك أن (سلطة الترك) و(سلطة الفرس) قد ضعفتا فليس عليك إلا أن تثير الشعوب ضد حكامها، كما ثارت الثوار في كل التاريخ ضد الحكام، فإذا انشقت كلمتهم وتفرقت قواهم ضمنا استعمارهم من أسهل طريق.

نشاط مستر همفر بالبصرة:

لما وصلت إلى البصرة ذهبت لتوي إلى أحد المساجد، وكان المسجد لعالم من أهل السنة عربي الأصل وأسمه (عمر الطائي) فتعرفت عليه وتلاطفت معه، لكن الرجل شك بي من أول لحظة، واخذ يحقق من أصلي ونسبي وسائر خصوصياتي، وأظن أن لوني ولهجتي هما قادا الشيخ إلى الشك.

لكني تمكنت من الخروج من المأزق بأني من أهالي (أغدير) في (تركيا) وأني تلميذ (الشيخ أحمد) في الآستانة، وكنت نجاراً في محل (خالد) .. وإلى آخر ما هنالك من المعلومات التي حصلتها مدة إقامتي في (تركيا) وتكلمت جملاً باللغة التركية، وانتبهت أن الشيخ أشار بعينه إلى أحد الحاضرين مستسفراً منه هل أني أتكلم التركية صحيحاً أم لا ؟ وأشار المسئول بعينه بالإيجاب، وفرحت إذ تمكنت من جلب قلب الشيخ.

لكن ظني كان سراباً خادعاً، فقد علمت بعد أيام أن الشيخ ينظر إليّ بمنظر الريبة، ويظنني جاسوساً لتركيا، حيث تبين لي فيما بعد أن الشيخ على خلاف مع (الوالي) المعين من قبل السلطان، وأن بينهما تبادل الاتهام وسوء الظن.

وعلى كل فلم أجد بداً من أن أنسحب من مسجد (الشيخ عمر) إلى (خان) كان محل الغرباء والمسافرين، وقد استأجرت غرفة في الخان، وكان صاحب الخان رجلاً أحمق يسلب راحتي كل صباح، فقد كان يأتي أول الفجر إلى باب الغرفة ويطرقه بعنف لأقوم لصلاة الصبح، وكنت أنا مجبوراً لمسايرته، فكنت أقوم وأصلي صلاة الصبح، ثم يأمرني بقراءة القرآن إلى طلوع الشمس، ولما قلت له: إن قراءة القرآن ليست واجبة فلماذا هذا الإصرار؟ قال: بأن من ينام في هذا الوقت يجلب الفقر والنكبة للخان ولأهل الخان.

وحيث لم يكن لي بد من إجابته – إذ هددني بالطرد إن لم أعمل بما يقول – صرت مجبوراً على أن أصلي أول الأذان ثم أتلو القرآن أكثر من ساعة كل يوم. ولم تكن المشكلة لتنتهي إلى هذا الحد، فلقد جاءني صاحب الخان – واسمه (مرشد أفندم) – ذات يوم وقال: إنك منذ أن استأجرت مني الغرفة ابتليت أنا بالمشاكل ولا أراها إلا من طالعك، وقد فكرت في أن سبب ذلك إنك أعزب والعزب شؤم، فإما أن تتزوج وإما أن تخرج من الخان، قلت إني لا أملك المال لكي أتزوج.

قال لي (الأفندم): يا ضعيف الإيمان ألم تقرأ قول الله تعالى (..إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله..) (النور:٣٢) ووقعت في حيرة شديدة من أمري ماذا أفعل؟ وبماذا

أجيبه؟ وأخيراً قلت له: حسناً كيف أتزوج بلا مال؟ وهل أنت مستعد أن تقرضني المال الكافي أو أن تجد لي زوجة بلا مهر؟

فكر (الأفندم) قليلاً ثم رفع رأسه ليقول: إنني لا أفهم كلامك، وأخيرك بين أن تتزوج إلى أول شهر رجب المرجب أو أن تخرج من الخان.

وكان لم يبق إلى أول شهر رجب إلا خمسة وعشرون يوماً حيث كنا في الخامس من شهر جمادي الثانية.

وبالمناسبة فإن أسماء الأشهر الإسلامية بهذا التسلسل (محرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادي الأول، جمادي الثاني، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة) وأشهرهم حسب رؤية الهلال، ولا تزيد أيامها عن (٣٠ يوماً)، ولا تنقص عن (٢٩ يوماً).

وأخيراً رضخت لأمر الأفندم ووجدت مكاناً عند نجار تعاقدت معه أن أعمل كعامل عنده بأجرة زهيدة، ويكون أكلي ونومي أيضاً عنده، وقبل أن ينتهي الشهر خرجت من الخان لألقي رحلي في دكان النجار وكان رجلاً شهماً شريفاً عاملني كأحد أولاده، وكان اسمه عبد الرضا وكان شيعياً فارسياً من أهالي خراسان.

وقد انتهزت فرصة وجودي عنده أن لأتعلم منه اللغة الفارسية، وكان الشيعة العجم يجتمعون عنده كل عصر ويتكلمون بكل أقسام الكلام من سياسة إلى اقتصاد، وكانوا يتهجمون على حكومتهم كثيراً، كما يتهجمون على الخليفة في الآستانة أما إذ جاء زبون لا يعرفونه انقطعوا عن الكلام فوراً، وأخذوا يتكلمون في قضاياهم الشخصية.

وأني لا أعلم كيف وثقوا بي هذه الثقة، لكنني علمت أخيراً إنهم ظنوا أني من أهالي أذربيجان حيث علموا أني أعرف اللغة التركية، وساعدهم على هذا الظن لوني المائل إلى البياض، اللون الغالب على أهالي أذربيجان.

الباب الثالث

ابن عبد الوهاب ضالة مستر همفر

تعرف مستر همفر على ابن عبد الوهاب:

ولما كنت هناك على هذا الحال تعرفت على شاب كان يتردد على هذا الدكان يعرف اللغات الثلاث: التركية والفارسية والعربية، كان في زي طلبة العلوم الدينية وكان يسمى بـ(محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية عصبي المزاج، ناقماً على الحكومة العثمانية، أما حكومة فارس فلم يكن له شأن بها، وكان سبب صداقته مع صاحب المحل (عبد الرضا) أن الاثنين كانا ناقمين على الخليفة.

إني لا أعلم من أين كان هذا الشاب يعرف اللغة الفارسية – مع إنه كان من أهل السنة – وكيف تصادق مع (عبد الرضا الشيعي) ؟ إلا أن كلا الأمرين لم يكن غريباً، ففي البصرة يلتقي السني بالشيعي وكأنهما أخوة، كما يعرف كثير من القاطنين في البصرة اللغتين الفارسية والعربية، وأن كثيراً منهم يعرف أيضاً اللغة التركية.

ابن عبد الوهاب وأهل السنة والشيعة:

كان محمد عبد الوهاب شاباً متحرراً بكل معنى الكلمة، لا يتعصب ضد الشيعة – كما كان هو الحال عند غالب أهل السنة حيث يتعصبون ضد الشيعة حتى أن جماعة من مشايخ أهل السنة يكفرون الشيعة ويقولون إنهم ليسوا مسلمين – كما إنه لم يكن يرى أي وزن لاتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة ويقول: إنها ما أنزل الله بها من سلطان.

وقصة المذاهب الأربعة هي: أن أهل السنة من المسلمين – بعد أكثر من قرن من موت نبيهم – نبغ فيهم أربعة علماء هم (أبو حنيفة، أحمد بن حنبل، مالك، محمد بن

إدريس الشافعي) فألزمهم بعض الخلفاء بأن يقلدوا أحد هؤلاء الأربعة، وإنه ليس لعالم من العلماء أن يجتهد في القرآن وسنة الرسول.

وهذا في الحقيقة كان غلقاً لباب فهمهم، وإلى هذا التحريم للاجتهاد يعزي جمود المسلمين، وقد انتهزت الشيعة هذه الفرصة لنشر مذهبهم على أوسع نطاق، حتى إنه بعد أن كان عدد الشيعة لا يبلغ عشر عدد السنة، أخذ عددهم في ازدياد فأصبح عددهم بعدد أهل السنة، ومن الطبيعي أن يكون كذلك، فإن الاجتهاد تطوير في فقه الإسلام، وتجديد لفهم القرآن والسنة على ما تتطلبه حاجات الزمان كالسلاح المتطور، بخلاف حصر المذهب في طريقة خاصة، وغلق باب الفهم، وسد السمع عن نداء حاجات الزمان، فإنه كالسلاح البالي، وإذا كان لك سلاح بال ولعدوك سلاح متطور لابد وأن يغلبك عدوك آن عاجلاً أو آجلاً.

وإني أظن إنه سيأتي يوم قريب يفتح عقلاء أهل السنة باب الاجتهاد*، وإلا فأني أبشر أهل السنة بأنه لا تمضي قرون إلا وتكون السنة أقلية وتكون الشيعة أكثرية.

ابن عبد الوهاب يضرب بآراء الصحابة والمذاهب:

وكان الشاب الطموح (محمد) يتبع نفسه في فهم القرآن والسنة، ويضرب بآراء المشايخ، لا مشايخ زمانه، والمذاهب الأربعة فحسب، بل بآراء أبي بكر وعمر أيضاً عرض الحائط، إذا فهم هو من الكتاب على خلاف ما فهموه، وكان يقول: إن الرسول قال: " أني مخلف فيكم الكتاب والسنة " ولم يقل: أني مخلف فيكم الكتاب والسنة

---

* يقال للعلماء المتبحرين الذين يستخدمون الأحكام المستورة غير الواضحة في النصوص أي من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (المجتهد) وشروط الاجتهاد مذكورة في الكتب المعتبرة ولم يظهر عالم صاحب هذه الشروط منذ أربعمائة سنة بعد الهجرة.

والصحابة وأئمة المذاهب، ولذا فالواجب إتباع الكتاب والسنة مهما كانت آراء المذاهب والصحابة والمشايخ مخالفة لذلك.

وقد جرى بينه وبين أحد علماء فارس الذي كان ضيفاً عند (عبد الرضا) على مائدة الطعام التي ضيفنا عليها (عبد الرضا) في داره، وكان محمد، والشيخ جواد القمي- وهذا هو اسم ذلك العالم الشيعي – وأنا وبعض أصدقاء صاحب البيت، أقول: جرى بين محمد والشيخ حوار عنيف لم أحفظه كله، وإنما حفظت مقتطفات عنه.

قال له (القمي): إذا كنت أنت متحرراً ومجتهداً – كما تدعي – فلماذا لا تتبع عليا كالشيعة ؟

قال محمد: لأن علياً مثل عمر وغيره ليس قوله حجة، وإنما الحجة الكتاب والسنة فقط.

قال القمي: ألم يقل الرسول " أنا مدينة العلم وعليّ بابها" إذاً فرق بين عليّ وبين باقي الصحابة.

قال محمد: إذا كان قول عليّ حجة فلماذا لم يقل الرسول: كتاب الله وعلي بن أبي طالب؟

قال القمي: بل قال((ﷺ)) : " كتاب الله وعترتي أهل بيتي" وعليّ سيد العترة فأنكر محمد أن يكون الرسول قال ذلك، لكن الشيخ القمي جاء إليه بأدلة مقنعة حتى سكت محمد ولم يحر جواباً.

لكن محمد اعترض عليه وقال: إذا قال الرسول: كتاب الله وعترتي فأين سنة الرسول؟

قال القمي سنة الرسول هي شرح لكتاب الله، فلما قال الرسول: (كتاب الله وعترتي) أراد كتاب الله بشرحه الذي هو السنة، قال محمد: أليس كلام العترة أيضاً شرحاً لكتاب الله؟ فما الحاجة إليهم ؟

قال القمي: لما مات الرسول احتاجت الأمة إلى شرح القرآن شرحاً يطابق حاجيات الزمن، ولذا فالرسول أرجع الأمة إلى الكتاب كأصل، وإلى العترة كشارح له فيما يتجدد من حاجات الزمن.

لقد أعجبت أنا بهذا البحث أيما إعجاب، ورأيت أن محمد الشاب أمام القمي الشيخ الطاعن في السن كالعصفور في يد الصياد لا يتمكن تحركاً.

ابن عبد الوهاب صيد مستر همفر:

لقد وجدت في ابن عبد الوهاب ضالتي المنشودة، فإن تحرره وطموحه وتبرمه من مشايخ عصره ورأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة كان أكبر نقاط الضعف التي كنت أتمكن أن أتسلل منها إلى نفسه.

وأين هذا الشاب المغرور من ذلك الشيخ التركي الذي درست عنده في تركيا فإنه كان مثال السلف كالجبل لا يحركه شيء، إنه كان إذا أراد أن يأتي باسم أبي حنيفة – وكان الشيخ حنفي المذهب – قام وتوضأ ثم ذكر اسم أبي حنيفة، وإذا أراد أن يأخذ كتاب البخاري – وهو كتاب عظيم عند أهل السنة يقدسونه أيما تقديس – قام وتوضأ ثم أخذ الكتاب.

أما الشيخ ابن عبد الوهاب فكان يزدرى بأبي حنيفة أيما ازدراء، وكان يقول عن نفسه: إنني أكثر فهماً من أبي حنيفة وكان يقول: (إن نصف كتاب البخاري باطل) لقد عقدت بيني وبين محمد أقوى الصلات والروابط، وكنت أنفخ فيه باستمرار، وأبين له إنه أكثر موهبة من علي وعمر وأن الرسول لو كان حاضراً لاختارك خليفة له دونهما، وكنت أقول له دائماً (آمل من تجديد الإسلام على يدك فإنك المنقذ الوحيد الذي يرجى به انتشال الإسلام من هذه السقطة).

كيف يلقن مستر همفر صنيعه ابن عبد الوهاب:

وقد قررت مع محمد أن نناقش في تفسير القرآن على ضوء أفكارنا الخاصة – لا على ضوء فهم الصحابة والمذاهب والمشايخ – وكنا نقرأ القرآن ونتكلم عن نقاط منها، كنت أقصد من ورائها إيقاع محمد في الفخ وكان هو يسترسل في قبول آرائي ليظهر نفسه بمظهر المتحرر، وليجلب ثقتي أكثر فأكثر.

١- الجهاد:

قلت له ذات مرة: الجهاد ليس واجباً، قال: وكيف وقد قال الله (**جاهد الكفار**)؟ قلت: الله يقول (..**جاهد الكفار والمنافقين**..)(التوبة:٧٣) فإذا كان الجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد الرسول المنافقين؟ قال: جاهدهم الرسول بلسانه، قلت: إذاً فجهاد الكفار أيضاً واجب باللسان، قال: لكن الرسول حارب الكفار، قلت: حرب الرسول كان دفاعاً عن النفس حيث أن الكفار أرادوا قتل الرسول فدفعهم، فهز محمد رأسه علامة الرضا.

٢- متعة النساء:

وقلت له ذات مرة: متعة النساء جائزة، قال: كلا قلت: فالله يقول: (..**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن**..)،(النساء:٢٤) قال: عمر حرم المتعة قائلاً: (متعتان كانتا على عهد الرسول وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما).*

---

* لم يُرو قول كهذا عن عمر رضى الله عنه والجاسوس الإنجليزي يهاجم عمر رضى الله عنه بقوله هذا لعداوته له ككل المسيحيين بل قال عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة فلا أرخص عمل ما منعه الرسول (ﷺ) وأن الصحابة الكرام كلهم قد أيدوا قول الخليفة هذا وكان بينهم علي رضى الله عنه.

قلت: أنت تقول: أنا أعلم من عمر فلماذا تتبع عمر؟ ثم إذا قال عمر: إنه حرمها وأن الرسول حللّها فلماذا تترك رأي القرآن ورأي الرسول وتأخذ برأي عمر؟

فسكت، ولما وجدت سكوته دليل الاقتناع، وقد أثرت فيه الغريزة الجنسية - ولم تكن له إذ ذاك زوجة - قلت له: ألا نتحرر أنا وأنت ونتخذ (متعة) نستمتع بها؟ فهز رأسه علامة الرضا.

وقد اغتنمت أنا هذا الرضا أكبر اغتنام، وقررت موعداً لآتي إليه بامرأة ليتمتع بها، وكان همي أن أكسر خوفه من مخالفة الناس، لكنه اشترط علي أن يكون الأمر سراً بيني وبينه وأن لا أخبر المرأة باسمه.

فذهبت فوراً إلى بعض النساء المسيحيات اللاتي كن مجندات من قبل وزارة المستعمرات لإفساد الشباب المسلم، ونقلت لها كامل القصة، وجعلت لها اسم صفية وفي يوم الموعد ذهبت بالشيخ محمد إلى دارها، وكانت الدار خالية إلا منها، فقرأنا أنا والشيخ صيغة العقد لمدة أسبوع، وأمهرها الشيخ ذهباً، فأخذت أنا من الخارج وصفية من الداخل نتراوح على توجيه الشيخ ابن عبد الوهاب.

٣- شرب الخمر:

وبعد ما أخذت صفية من محمد كل مأخذ، وتذوق محمد حلاوة مخالفة أوامر الشريعة تحت غطاء الاجتهاد والاستقلال في الرأي والحرية، وفي اليوم الثالث من المتعة أجريت مع محمد حواراً طويلاً عن عدم تحريم الخمر وكلما استدل بالآيات القرآنية والأحاديث زيفتها.

وقلت له أخيراً: لقد صح أن معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وخلفاء بن العباس كانوا يتعاطون الخمر، فهل من الممكن أن يكون كل أولئك على ضلال وأنت على صواب؟ إنهم لاشك كانوا أفهم لكتاب الله وسنة الرسول مما يدل على إنهم لم يفهموا التحريم

وإنما فهموا الكراهة والإعافة. وفي الأسفار المقدسة لليهود والنصارى إباحة الخمر، فهل يعقل أن يكون الخمر حراماً في دين وحلالاً في دين، والأديان كلها من عند آله واحد؟ ثم إن الرواة رووا أن عمر شرب الخمر حتى نزلت الآية (..**فهل أنتم منتهون**)(المائدة: ٩١) ولو كان الخمر حراماً لعاقبه الرسول، فعدم عقاب الرسول دليل الحليّة.

أخذ محمد يسمعني بكل قلبه، ثم تنهد وقال: بل تثبت في بعض الأخبار أن عمر كان يكسر الخمر بالماء ويشربها، ويقول أن سكرها حرام، لا إذا لم تكن تسكر، ثم أردف الشيخ قائلاً: وكان عمر صحيح الفهم في ذلك، لأن القرآن يقول: (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة**)(المائدة: ٩١) فإذا لم تسكر الخمر لم تفعل هذه الأمور التي ذكرت في الآية، وعليه فلا نهي عن الخمر إذا لم تكن مسكرة*.

أخبرت صفية بما جرى، وأكدت عليها أن يسقى الشيخ في هذه المرة خمرة مغلظة، ففعلت، وأخبرتني بعد ذلك أن الشيخ شرب حتى الثمالة وعربد وجامعها عدة مرات في تلك الليلة، وقد رأيت أنا آثار الضعف والنحول عليه غداة تلك الليلة، وهكذا استوليت أنا وصفية على الشيخ استيلاءً كاملاً.

ويالها من روعة تلك الكلمة الذهبية التي قالها لي وزير المستعمرات حين ودعته: إنا استرجعنا أسبانيا من الكفار – يقصد المسلمين – بالخمر والبغاء، فلنحاول أن نسترجع سائر بلادنا بهاتين القوتين العظيمتين.

---

* والحال أن نبينا ((ﷺ)) قال (كل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام).

٤- الصـــوم:

ذات مرة تكلمت مع الشيخ عن الصوم وقلت له: إن القـرآن يقـول: (..**وأن تصومـوا خير لكم**..)(البقرة: ١٨٤) ولم يقل إنه واجب عليكم، فـالصوم بنظـر الإسـلام منـدوب وليس بواجب، لكنه قاوم الفكرة وقال: يا محمد تريد أن تخرجني من ديني؟

قلت له: يا ابن عبد الوهاب إن الدين هو صفاء القلب وسلامة الروح وعدم الاعتداء على الآخرين، ألم يقل النبي: (الدين الحب) ؟ وألم يقل الله في القـرآن الحكيـم: (**واعبـد ربك حتى يأتيك اليقين**) ؟[*] (الحجر: (٩٩) فإذا حصل للإنسان اليقين بالله وبـاليوم الآخر، وكان طيب القلب نظيف العمل كان من أفضل الناس.

لكنه هـز رأسه علامة للنفـي وعدم الارتيـاح.

٥- الصــلاة:

ومرة أخرى قلت له: الصلاة ليست واجبة) قال: وكيـف؟ قلـت: لأن في القـرآن يقـول الله: (..**وأقـم الصلاة لذكري**)(طـه: ١٤) فالمقصود من الصلاة ذكـر الله تعـالى، فلـك أن تذكر الله تعالى عوضاً عن الصلاة.

قال ابن عبد الوهاب: نعم سمعت أن بعض العلماء كانوا يذكـرون الله تعـالى في أوقـات الصلاة عوضاً عن الصلاة[*].

---

[*] كل الكتب الإسلامية تقول أن (اليقين) هنا الموت ومعنـى هـذه الآيـة الكريمـة وأعبـد ربـك حتى يأتيك الموت.

[*] قال نبينا (ﷺ): (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين) وقال أيضاً (صلوا كما رأيتموني أصلي) وعدم إقامة الصلاة بهذا الشكل أثـم كبير وإقامتها على الوجه الصحيح علامة طهـر القلب)

ففرحت لكلامه أيما فرح، وأخذت أنفخ في هذا الرأي حتى ظننت أني استوليت على لبّه، وبعد ذلك وجدته لا يهتم بأمر الصلاة، أحياناً يصلي وأحياناً لا يصلي، خصوصاً في الصباح فإنه كان يترك الصلاة غالباً، حيث كنت أسهر معه إلى بعد منتصف الليل غالباً، فكان منهوك القوى عند الصباح فلا يقوم للصلاة.

وهكذا أخذت أسحب رداء الإيمان عن عاتق الشيخ شيئاً فشيئاً.

وأردت ذات مرة أن أناقش حول الرسول لكنه صمد في وجهي صموداً كبيراً، وقال لي: إن تكلمت بعد ذلك حول هذا الموضوع قطعت علاقتي بك.

وخشيت أن ينهار كل ما بنيته، من أجل ذلك أحجمت عن الكلام حول الرسول.

ابن عبد الوهاب مجدد فكر الخوارج:

لكن أخذت في إذكاء روحه في أن يكون لنفسه طريقاً ثالثاً غير السنة وغير الشيعة، وكان يستجيب لهذا الإيحاء كل الاستجابة لأنه كان يملأ غروره وتحرره.

وبفضل صفية التي دامت علاقتها معه بعد الأسبوع أيضاً في متعات جديدة تمكنا في الأخذ بقيادة الشيخ كاملاً.

وذات مرة قلت للشيخ: هل صحيح أن النبي آخى بين أصحابه؟ قال: نعم، قلت هل أحكام الإسلام وقتية أم دائمة؟ قال: بل دائمة لأن الرسول يقول: (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) إذن فلنواخي أنا وأنت، فتواخينا.

ومنذ ذلك الحين كنت أتبعه في كل سفر وحضر، وكنت أهتم لأن تأتي الشجرة التي غرستها ثمارها التي صرفت لأجلها أثمن أوقات شبابي.

وكنت أكتب بالنتائج إلى الوزارة كل شهر مرة، كما كانت عادتي منذ أن خرجت من لندن، وكان الجواب يأتيني بالتشجيع الكافي، فكنت أنا ومحمد نسير في الطريق الذي رسمناه بخطى سريعة، ولم أكن أفارقه لا في السفر ولا في الحضر، وكانت مهمتي أن أربي فيه روح الاستقلال والحرية وحالة التشكيك، وكنت أبشره دائماً بمستقبل زاهر وأمدح فيه روحه الوقادة، ونفسه النقادة، ولفقتُ له ذات مرة حلماً وقلت له: أني رأيت البارحة في المنام رسول الله (ﷺ)- ووصفته بما كنت سمعته من خطباء المنابر - جالساً على كرسي وحوله جماعة من العلماء لم أعرف أحداً منهم، وإذا بي أراك قد دخلت ووجهك يشرق نوراً، فلما وصلت إلى الرسول قام الرسول إجلالاً لك وقبل بين عينيك وقال لك: يا محمد، أنت سَمِيي ووارث علمي والقائم مقامي في إدارة شئون الدين والدنيا، فقلت أنت: يا رسول الله أني أخاف أن أظهر علمي على الناس؟ قال رسول الله لك: لا تخف إنك أنت الأعلى.

فلما سمع محمد بالمنام كاد أن يطير فرحاً، وسألني مكرراً هل أنت صادق في رؤياك ؟ وكلما سأل أجبته بالإيجاب حتى اطمأن. وأظن إنه صمم من ذلك اليوم على إظهار أمره وتأسيس مذهب جديد* .

---

* لقد طبع بلاوفست كتاب الفجر الصادق الذي طبع في مصر سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥م) للأستاذ/ جميل صدقي الراهاوي العراقي عندما كان مدرساً للعقائد الإسلامية في دار الفنون باستانبول المتوفى سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) من قبل مكتبة الحقيقة ويقول فيه (لقد أظهر الفكرة الفاسدة للوهابية محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٤٣هـ (١٧٣٠م) في نجد، وقد ولد في ١١١١هـ (١٦٩٩م) ومات سنة ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) وانتشرت الوهابية من قبل محمد بن سعود أمير الدرعية بعد سفك كثير من دماء المسلمين وسموا المسلمون غير الوهابيين مشركين وقالوا يلزم تكرار حجتهم لكونهم كفاراً منذ ٦٠٠سنة كآبائهم وقتلوا كل من لم يقبل دين الوهابية ونهبوا أموالهم كغنيمة، وأحرقوا كتب الفقه والتفاسير والأحاديث وفسروا القرآن الكريم حسب آرائهم

توجـه مستر همفر إلى النجف وكربلاء:

في هذه الأيام جاءتني الأوامر من لندن على أن أتوجه إلى كربلاء والنجف مهوى قلوب المسلمين الشيعة ومركز علمهم وروحانيتهم ولهذين البلدين قصة طويلة.

معلومات عن النجف:

أما قصة النجف فإنها تبتدئ من يوم دفـن علـى رابـع الخلفاء عنـد أهـل السنة وأول الخلفاء عند أهل الشيعة، فإن مدينة تبعد عن النجف قـدر فرسخ – أي مسيرة ساعة بالرجل – تسمى بالكوفة كانت مقر خلافة عليّ، فلما قتـل علـيّ دفنـه ولـداه الحسن والحسين خارج الكوفة في هذا المكان الذي يسمى الآن بالنجف ثم أخذت نجف تزدهر بينما أخذت الكوفة في الخراب، واجتمع في النجف عدد من علماء الشيعة، وصـارت فيها بيوت وأسواق ومـدارس، وهـي الآن مركـز علمـاء الشيعة، والخليفـة في الآستانة يهابهم ويحترم جانبهم لعدة أمور:

١– أن حكومة الشيعة في فارس تساندهم، وإذا مس الخليفة كرامتهم توترت العلاقات بين الحكومتين، وأحياناً تصل إلى حد الحرب.

٢– أن عشائر كثيرة حول النجف تساند العلماء، وهـي مسـلحة، وسـلاحهم وإن كـان ليس على المستوى الرفيع ولا تنظيم لهم إلا التنظيم العشائري، لكن يعـني منازلـة الخلافة للعلماء أن تدخل مع تلـك العشـائر في معـارك داميـة، وحيـث لا ضـرورة قصوى تلجئ الحكومة إلى كبح جماع العلماء تذرهم وشأنهم.

الفاسدة ولتغرير المسلمين ادعوا بأنهم على مذهب الحنبلية والحال أن كثيراً من علماء الحنابلة ردوا هؤلاء وبينوا فسادهم في كتبهم.)

٣- أن أولئك العلماء مراجع لكل المسلمين الشيعة في العالم من الهند وأفريقيا وغيرهما، فإذا مست الحكومة كرامتهم هاجت الشيعة في كل مكان.

معلومات عن كربلاء:

وأما قصة كربلاء، فإنها تبتدئ منذ قتل فيها سبط رسول الله الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت الرسول (ﷺ) فقد دعا أهل العراق الحسين ليأتيهم من المدينة – الحجاز ليتخذوه خليفة، لكنه لما وصل هو وأهل بيته إلى أرض كربلاء – التي تبتعد عن الكوفة قرابة أثني عشر فرسخاً – قلب أهل العراق عليه الأمر، وخرجوا لقتاله بأمر من يزيد بن معاوية – الخليفة الأموي القاطن في الشام – فقاتل الحسين بن علي مع أهل بيته الجيش الأموي الكثيف العدد قتال الأبطال حتى قتل هو وأهل بيته، وقد أبدى الجيش الأموي في هذه المعركة كل نذالة وسفالة، ومنذ ذلك الحين أتخذ أهل الشيعة هذا المكان مركزاً روحياً يأتونه من كل مكان، ويزدحمون فيه ازدحاماً ليس عندنا في الروحانية المسيحية له مثيل.

هذه المدينة كربلاء أيضاً مدينة شيعية وفيها علماء الشيعة ومدارسهم، وهي والنجف تسند إحداهما الأخرى.

بداية الرحلة إلى النجف وكربلاء:

ولما وصلتني الأوامر للذهاب إلى هاتين المدينتين قطعت الطريق من البصرة إلى بغداد، مركز الوالي المنصوب من قبل الخليفة في الآستانة ومن هناك ذهبت إلى الحلة وهي مدينة تقع على شط الفرات.

والفرات ودجلة نهران كبيران يخترقان العراق من تركيا ويصبان في البحر، ويعود الفضل في زراعة العراق ورفاهها إلى هذين النهرين.

وقد اقترحت أنا على وزارة المستعمرات بعد عودتي إلى لندن أن تخطط لوضع اليد على مصب هذين النهرين لتتمكن من إخضاع العراق في حالة الطوارئ، فإنه إن انقطع الماء عن العراق لابد وأن يخضع أهلها لمطالب الوزارة.

تحريض شيعة العراق ضد الخلافة:

ومن الحلة ذهبت إلى النجف في زي تاجر من تجار أذربيجان وائتلفت برجال الدين وأخذت أراودهم وحضرت مجالس دروسهم، وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم، وغزارة علمهم، وشدة تقواهم، لكن وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمرهم.

١- فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا لا لأنهم شيعة وإنها سنية، بل لضغط السلطة على حرياتهم ضغطاً كبيراً - لا يفكرون في منازلتها وفي التخلص منها.

٢- كما إنهم كانوا قد حصروا أنفسهم في علوم الدين أمثال قساوستنا في عصر الجمود، وقد تركوا علوم الدنيا إلا بمقدار قليل لا ينفع.

٣- وكذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجرى حولهم من العالم.

وقد قلت في نفسي: مساكين هؤلاء، فإنهم في سبات حيث الدنيا في يقظة، وسيأتي يوم يجرفهم السيل، وقد حاولت مكرراً استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم أجد فيهم أذناً صاغية، وكان بعضهم يسخر مني، وكأني أقول له أهدم الكون، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن أن يقهر إلا إذا ظهر (ولي الأمر عجّلَ الله فرجه).

وولي الأمر عندهم إمامهم الثاني عشر من ذرية الرسول (ﷺ) غاب عن الأبصار عام ٢٥٥هجري أي بعد ظهور رسولهم ب٢٥٥ سنة وحي إلى اليوم ثم يظهر للعالم ليملأه عدلاً بعد أن ملئ جوراً.

وأني أتعجب كيف يعتقد أناس أفاضل بهذه العقيدة الخرافية؟ إنها مثل عقيدة الخرافيين من المسيحيين بأن المسيح سيعود من عليائه ليملأ الدنيا عدلاً.

قلت لأحدهم: أليس الواجب أن تغيروا الظلم كما غير رسول الإسلام؟ قال: الرسول كان يسنده الله لذا تمكن، قلت: في القرآن الحكيم: (..**إن تنصروا الله ينصركم..**) (محمد:٧) فأنتم أيضاً يسندكم الله إن قمتم بالسيف في وجه طغيان الخليفة، قال: أنت تاجر وهذه مواضيع علمية يقصر فهمك عن ملاحقتها.

أما مرقد الإمام أمير المؤمنين – كما يسمونه- فهو مرقد جميل مزخرف بأنواع الزخرفة الجميلة، وله حرم جميل، وعليه قبة ذهبية كبيرة، ومنارتان ضخمتان ذهبيتان، وأهل الشيعة يدخلونه كل يوم زرافات زرافات ويقيمون فيه الصلوات بهيئة اجتماعية، ويقبلون ضريحه الذي ألحد فيه، وينحني كل واحد إلى عتبته يقبلها ثم يسلِّم على الأمام، ويستأذن في الدخول فيدخل، ويحيط بالحرم صحن كبير فيه غرف كثيرة هي مأوى رجال الدين والزوار.

وفي كربلاء حرمان على طراز حرم عليّ الأول: حرم الحسين والثاني حرم العباس وهو أخ للحسين قتل معه في كربلاء، وتفعل الشيعة في كربلاء مثل ما تفعل في النجف، وكربلاء أحسن مناخاً من النجف، حيث يحيط بالبلد طوق كبير وكثيف من البساتين، وفيها أنهار جارية.

تقرير شامل عن حالة العراق:

في سفرتي إلى العراق وجدت ما يثلج الصدر، فقد كانت الأوضاع العامة والخاصة تنذر بنهاية الحكم، فالوالي من قبل الآستانة رجل مستبد جاهل يحكم بما يشاء وكأن الناس عبيد وإماء له،والشعب بصورة عامة غير راض عنه، أما أهل الشيعة فلأن الحكومة تضغط على حرياتهم ولا تعير لهم أهمية وأما أهل السنة فلأنهم يأنفون أن يحكمهم

رجل تركي وفيهم الأشراف والسادة من آل الرسول (ﷺ) الذين يرون إنهم أحق بالحكم من الوالي التركي.

والبلاد خراب يعيش الناس فيها في قذارة ووساخة وخرائب، والطرق غير مأمونة، فعصابات اللصوص يترصدون القوافل فينقضوا عليهم إذا لم تكن معهم مفرزة من الشرطة، ولذا فإن القوافل لا تتحرك إلا بعد أن تصحبهم الحكومة بالشرطة المدججين بالسلاح.

والمخاصمات بين العشائر قائمة على قدم وساق، فلا يمر يوم إلا وعشيرة تنقض على عشيرة أخرى ويكون بينهما القتل والسلب.

والجهل والأمية متفشية بصورة مدهشة تذكرني بأيام استيلاء الكنيسة على بلادنا، فباستثناء طبقة رجال الدين في النجف وكربلاء وقلة مرتبطة بهم لا تجد قارئا ولا كاتبا واحدا في كل ألف إنسان.

والاقتصاد منهار، فعيش الناس في فاقة شديدة وفقر مدقع، والنظام غير مستتب فالفوضى هي التي تسود كل شيء. وتنظر الحكومة والناس كل إلى الآخر بنظر الريبة والشك ولذا لا تعاون بينهما.

ورجال الدين غارقون في الأمور الدينية عازفون عن الحياة الدنيا.

والصحارى أغلبها قفار لا زراعة فيها، ويمر النهران عبر أراضيهم وكأنهما ضيف عليهم حتى يصبان في البحر. وإلى غير ذلك من الأوضاع المتردية الفاسدة التي تنتظر الإنقاذ.

إقامة مستر همفر بكربلاء:

بقيت في كربلاء والنجف مدة أربعة أشهر وقد تمرضت في النجف مرضاً حاداً حتى يئست من نفسي، ودام معي المرض مدة ثلاثة أسابيع، وراجعت طبيبا كان هناك، ووصف لي بعض الأدوية، فلما شربتها أحسست بتحسن صحتي، وكان الفصل صيفاً شديد الحر، فكنت اعتكف أيام مرضى في مكان تحت الأرض يسمى بالسرداب وكان صاحب البيت الذي استأجرت منه غرفة يباشر في هذه المدة مهمة صنع الطعام والدواء لي لقاء أجر بسيط، وكان يعتبر خدمتي أفضل قربة إلى الله حيث إنه يخدم زائراً لأمير المؤمنين عليه السلام، وكان أكلي فقط – في الأيام الأولى – ماء طير يسمونه الدجاجة ثم منح لي الطبيب السماح بأكل لحمة أيضاً، وفي الأسبوع الثالث أباح لي أن آكل الأرز بالدجاج.

وبعد أن شفيت من المرض ذهبت إلى بغداد، وهناك كتبت تقريراً مفصلاً عن مشاهداتي في النجف وكربلاء والحلة وبغداد والطريق في تقرير مسهب استوعب مائة صفحة، وسلمت التقرير إلى ممثل الوزارة في بغداد، وبقيت بانتظار أوامر الوزارة هل أبقى في العراق أو أعود إلى لندن.

وقد كنت شديد الشوق للعودة إلى لندن لأن الغربة طالت والحنين إلى البلد والأهل قد اشتد، خصوصاً وقد كنت مشتاقاً كثيراً إلى لقاء ولدي رسبوتين الذي فتح العين على الفور في غيابي، ولذا فإني قد طلبت من الوزارة مع التقرير الذي بعثته إليها أن يسمحوا لي بالعودة – ولو لأجل محدود– لأروي لهم انطباعاتي شفويا، ولكي آخذ قسما من الراحة والاستجمام، فقد طال سفري إلى العراق مدة ثلاث سنوات.

قال لي ممثل الوزارة في بغداد أن لا أتردد عليه وأن أستأجر غرفة في أحد الخانات المطلة على نهر دجلة لكي لا تثار حولي شبهة، وقال: إنه – أي الممثل– سوف

يخبرني بالجواب حينما يأتي البريد من لندن، وكنت في أيام إقامتي في بغداد رأيت البون الشاسع بين عاصمة الخلافة وبين بغداد، وكيف أن الأتراك يتعمدون إذلال أهالي العراق لأنهم عرب لا يؤمن مكرهم.

ابن عبد الوهاب يُوجَّه إلى بلاد فارس:

وقد كنت أيام مغادرتي البصرة إلى كربلاء والنجف قلقاً أشد القلق على مصير الشيخ محمد عبد الوهاب حيث كنت لا آمن الانحراف عن الطريقة التي رسمتها له، فإنه كان شديد التلون، عصبي المزاج، فكنت أخشى أن تنهار كل آمالي التي بنيتها عليه.

إنه حين أردت أن أفارقه كان يروم الذهاب إلى الآستانة للتطلع عليها، لكني منعته عن ذلك أشد المنع وقلت له: أخاف أن تقول هناك شيئاً ما يوجب أن يكفروك ومصيرك حينذاك القتل، قلت له هكذا، ولكن كان في نفسي شيء آخر وهو أن يلتقي ببعض العلماء هناك فيقوّم معوجّه، ويرجعه إلى طريق أهل السنة فينهار كل آمالي.

ولما كان الشيخ محمد لا يريد الإقامة في البصرة أشرت عليه بأن يذهب إلى أصفهان وشيراز فإن هاتين المدينتين جميلتين، وأهاليهما من أهل الشيعة ومن المستبعد أن تؤثر الشيعة في الشيخ، وقد كنت بذلك أمنت انحرافه.

وعند مفارقتي للشيخ قلت له: هل تؤمن بالتقية؟ قال: نعم، فقد اتقى أحد أصحاب الرسول (وأظنه قال إنه مقداد) حين اضطهده المشركون، وقتلوا أباه وأمه فأظهر الشرك، وأقره على ذلك رسول الله (ﷺ)*.

قلت له: إذن اتق من الشيعة ولا تظهر لهم إنك من أهل السنة لئلا تقع عليك كارثة، وتمتع ببلادهم وعلمائهم، وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم فإنه ينفعك أشد النفع في مستقبل حياتك.

---

* يقصد عمار بن ياسر رضي الله عنه وليس مقداد كما يظن.

وقد زودت الشيخ حين أردت مفارقته بكمية من المال بعنوان الزكاة وهي ضريبة إسلامية تؤخذ لصرفها في مصالح المسلمين، كما وقد اشتريت له دابة للركوب بعنوان الهدية، وفارقته.

ومنذ مفارقتي له لم أعلم مصيره، وكنت قلقا لذلك أشد القلق، وقد تعاهدنا أن نرجع- كلانا- إلى البصرة، وإذا رجع أحدنا ولم يجد صاحبه يدع مكتوبا عند عبد الرضا يخبر فيه صديقه عن حاله.

عودة مستر همفر إلى لندن:

بعد مدة من مكوثي في بغداد أتتني الأوامر بضرورة التوجه إلى لندن فورا، فتوجهت إليها، وهناك اجتمع بي السكرتير وبعض أعضاء الوزارة وأخبرتهم بمشاهداتي وما عملته في سفرتي الطويلة، ففرحوا بمعلوماتي عن العراق أشد الفرح، وأبدوا ارتياحهم لها، وكان قد سبق إليهم تقريري عن تفاصيل الرحلة، وظهر لي فيما بعد أن صفية قرينة الشيخ محمد عبد الوهاب في البصرة أيضا كانت قد كتبت إليهم بما يطابق تقاريري، كما تبين أيضا أن الوزارة كانت تراقبني في كل السفرة، وأن المراقبين كتبوا عني تقارير مرضية، ومصدقة لما كتبت في تقريري ولما قلت عند مقابلة السكرتير.

ضرب السكرتير لي موعدا للاجتماع بنفس الوزير، ولما زرته في مكتبه رحب بي ترحيبا حارا يختلف عن ترحيبه السابق عندما عدت من الآستانة إلى لندن، وظهر لي أنني أشغلت من قلبه مكانا لائقا.

ابن عبد الوهاب عميل المخططات الإنجليزية:

وقد أبدى الوزير ارتياحه الكبير من السيطرة على ابن عبد الوهاب وقال: إنه ضالة الوزارة، وأكد على مكررا بأن أعاهده بكل أنواع المعاهدة، وقال: إنك لو لم تحصل في كل أتعابك إلا على الشيخ كان جديرا بكل تلكم الأتعاب.

وحيث أبديت قلقي على مصيره بعدي قال الوزير: اطمئن بأن الشيخ لا يزال على ما فارقته أنت من الآراء والأفكار، وقال الوزير: أن عملاء الوزارة اتصلوا به في اصفهان وإنهم أخبروا الوزارة بأن الشيخ على ما كان.

لكن أسررت في نفسي: كيف أباح الشيخ بدخيلة سره إليهم ؟ وتهيبت أن أسأل الوزير عن ذلك، ثم تبين لي – فيما بعد – حين التقيت بالشيخ إن إنسانا يدعي عبد الكريم اتصل به في اصفهان وإنه أخ للشيخ محمد يقصد أنا قال له عن تفاصيل أسراره عن الشيخ، وبذلك استطاع من النفوذ إلى دخائل قلبه.

وقال ابن عبد الوهاب أن صفية لحقته في أصفهان وتنعم بمتعة أخرى لمدة شهرين، وأن عبد الكريم صاحبه إلى شيراز حيث هيأ لأبن عبد الوهاب متعة أخرى أسمها آسية أجمل وأكثر أنوثة وعاطفة من صفية وإنه قضى معها أسعد ساعات العمر.

وتبين لي فيما بعد أيضا: أن عبد الكريم اسم مستعار لأحد المسيحيين في جلفاء من نواحي أصفهان كان من عملاء الوزارة، وأن آسية من يهود شيراز وكانت أيضا هي الأخرى من عملاء الوزارة، وكان نتيجة سيطرتنا – نحن الأربعة – على أبن عبد الوهاب إنه طبخ كأفضل ما يمكن لما يرجى منه المستقبل.

مستر همفر يحصل على أعلى وسام:

بعد شرح الأحوال للوزير بحضور السكرتير، ونفرين آخرين من أعضاء الوزارة لم أعرفهما من ذي قبل، قال لي الوزير: لقد استحققت أعلى أوسمة الوزارة حيث بلغت الدرجة الأولى في العملاء المخلصين، ثم أردف: إن السكرتير سوف يطلعك على بعض أسرار الدولة تنفعك في مهمتك.

ثم منحوا لي إجازة عشرة أيام لكي أنصرف إلى أهلي، وخرجت من الوزارة ميمما نحو أهلي، وعشت مع أبني الصغير الذي كان يشبهني، وينطق ببعض الكلمات ويمشي

وكأنه قطعة من روحي تمشي على الأرض، في أسعد اللحظات، وقد غمرني الفرح فوق حد الوصف، وكاد أن يطير روحي حباً، وتمتعت بالأهل والوطن أيما استمتاع، كما زرت عمتي العجوز الطاعنة في السن التي كانت دائماً تغمرني بعطف ولطف، ومن حسن الحظ اجتماعي بها هنا، حيث إنها فارقت الحياة عندما كنت أنا في السفرة الثالثة، وقد ترك وفاتها في نفسي ألماً ولوعة وحسرة.

وتذكرت حينذاك الأيام التي كنت فيها مريضاً في العراق والنجف، وكان اليوم الواحد منها يمر وكأنه سنة، ولا تزال مرارة تلك الأيام تحت أسناني، حتى أن مجموع أيام سعادتي لم يترك عندي من السعادة ما تركته عندي أيام الشقاء من المرارة.

الباب الرابع
اللجنة الخاصة لشئون المستعمرات

من أسرار اللجنة الخاصة:

راجعت الوزارة لاتخذ الأوامر بشأن المستقبل، وكان في استقبالي السكرتير بطلعته الوسيمة، وثغره الباسم، وطوله الفارع، وصافحني مصافحة حارة لمست منها كل معاني الأخوة.

قال لي: لقد أمرني الوزير شخصياً، كما خولتني اللجنة الخاصة بشئون المستعمرات أن أطلعك على سرين هامين جداً وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل، ولا يطّلع على هذين السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم.

السر الأول:

ثم أخذ بيدي وأدخلني إحدى غرف الوزارة، ورأيت فيها عجباً، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (أحدهم) في زي السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والإنكليزية، والثاني في زي شيخ الإسلام في الآستانة والثالث في زي الملك الفارسي والرابع في زي عالم البلاط الشيعي والخامس في زي مرجع التقليد لأهل الشيعة في النجف، وهؤلاء الثلاثة يتكلمون باللغتين الفارسية والإنكليزية.

وعند كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب ليكتب ما يقول، كما إنه هو بنفسه الطريق إلى أحد الخمسة ليزوده بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من الآستانة، وفارس ، والنجف.

بنك معلومات عن المسلمين:

قال السكرتير: إن هؤلاء الخمسة يمثلون أولئك الأصليين، صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر أولئك الخمسة، فإنا نزود هؤلاء بالمعلومات التي تصلنا من الآستانة وطهران والنجف، وهؤلاء يجعلون من أنفسهم بمنزلة أولئك الخمسة الأصلاء، ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم، وقد لاحظنا أن نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المائة تفكير أولئك الأصيلين.

حوار بين بنك المعلومات ورجال المستعمرات:

١- مع شيعة النجف:

قال السكرتير: وإن شئت جرب الأمر فإنك قابلت عالم النجف، قلت: حسناً، حيث كنت قد سألت بعض المسائل عن مرجع التقليد في النجف.

تقدمت إلى البدل وقلت له: مولانا، هل يجوز لنا نحن الشيعة أن نحارب الحكومة لأنها حكومة سنية شديدة التعصب؟

تروّي البدل قليلاً وقال: لا يجوز لنا محاربتهم لأنهم سنة، فإن المسلمين أخوة، وإنما يجوز لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الأمة، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرفعوا أيديهم عن اضطهادنا وحينذاك نتركهم وشأنهم.

قلت: مولانا، ما رأيكم في نجاسة اليهودي والنصراني فهل هم أنجاس أم لا ؟

قال البدل: نعم إنهم أنجاس يجب الاجتناب عنهم، قلت: ولم؟ قال: هذا من باب المقابلة بالمثل فإنهم يروننا كفاراً، وإنهم يكذبون نبينا محمد (ﷺ)، وكذلك نحن نقابلهم بالمثل.

قلت له: مولانا، أليست النظافة من الإيمان؟ فلماذا نرى أنا قذارة الصحن الشريف، والشوارع والأزقة حتى أني رأيت القذارة في المدارس العلمية أيضاً؟

قال: النظافة لا شك إنها من الإيمان ولكن ماذا نصنع بقلة المياه، وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة؟

كانت المفاجآت في أجوبة البدل إنها كلها كانت مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة أو نقيصة، لكن كانت إضافة جملة وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة في الجواب الثالث زيادة من البدل حيث لم يذكرها الأصيل، وقد دهشت أيما دهشة لهذه البدلية المطابقة للأصل، فقد أجابني المرجع في النجف حيث سألته عن هذه الأسئلة بنفس هذه الأجوبة، وكان البدل يتكلم باللغة الفارسية كما كان المرجع في النجف يتكلم باللغة الفارسية أيضاً.

٢- مع شيخ الإسلام في الآستانة:

قال لي السكرتير: ولو كنت واجهت الأربعة الأصلاء الآخرين وتكلمت معهم لكان لك أن تتكلم مع هؤلاء الأبدال لترى كيف أن هؤلاء الأبدال مثل أولئك الأصلاء قلت إني أعرف كيفية تفكير شيخ الإسلام لأن أستاذي الشيخ أحمد أفندم نقل لي جملة وافية عنه، قال لي السكرتير: تفضل وتكلم مع البدل عنه.

فتقدمت إلى البدل وقلت له: أفندم هل تجب طاعة الخليفة؟

قال: نعم يا ولدي مثل وجوب طاعة الله ورسوله.

قلت له: أفندم بأي دليل ؟

قال: ألم تسمع قول الله تعالى: (..أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(النساء: ..٥٩)؟

قلت: أفندم إذا كان الخليفة أولى الأمر فكيف يأمرنا الله بطاعة يزيد الذي أباح المدينة المنورة لجيشه وقتل الحسين سبط رسول الله، وكيف يأمرنا الله بطاعة يزيد الذي كان يشرب الخمر.

قال البدل: يا ولدي إن يزيد كان أمير المؤمنين من قبل الله تعالى وقد أخطأ في قتله الحسين وتاب، وأما إباحته المدينة المنورة فقد كانت صحيحة لأنهم طغوا وبغوا وخلعوا الطاعة، وأما يزيد فكان يشرب الخمر المزوجة بالماء والتي لا توجب له السكر وذلك جائز في شريعة الإسلام.

لقد كنت سألت هذه الأسئلة من شيخي أحمد أفندم وكان جوابه نفس الأجوبة باختلاف يسير.

قلت للسكرتير بعد هذه المقابلة: وما فائدة هذه التمثيلية؟ قال: إنّا نعرف كيف يفكر سلاطين وعلماء المسلمين - سنة وشيعة - ونضع الحلول المناسبة لمعاكستهم في القضايا السياسية والدينية.

مثلاً: إذا عرفت أن عدوك يأتي من طرف المشرق فإنك تضع جنودك في ذلك الطرف لصده، أما إذا لم تكن تعرف من أين يأتي العدو فقد تبعثر جنودك في كل اتجاه، وكذلك إذا عرفت وجه استدلال المسلم على مذهبه ودينه تمكنت أن تضع الأجوبة الجاهزة لردّه، فتكون تلك الأجوبة كافية لخلخلة عقيدة المسلمين.

كتاب: كيف نحطم الإسلام ؟

ثم ناولني السكرتير كتاباً ضخماً من ألف صفحة فيه نتائج المناقشات والخطط التي جرت بين هؤلاء الخمسة الأصليين والخمسة الإبدال في الشئون العسكرية والمالية والثقافية والدينية.

وحملت الكتاب معي إلى الدار وقرأته من أوله إلى آخره في ثلاثة أسابيع - مدة إجازتي - وأمرني بإرجاع الكتاب بعد المطالعة، وعند قراءاتي للكتاب دهشت لما حواه من الرد ودقة المناقشات وكأنها واقعية فكانت مطابقة الأجوبة - حسب معلوماتي - أكثر من

سبعين بالمائة، وإن كان السكرتير سبق وأن قال لي: إن الأجوبة الصائبة من التمثيلية زهاء سبعين بالمائة.

وقد ازددت وثوقاً بمقدرة حكومتي، وعلمت يقيناً أن الإمبراطورية العثمانية مشرفة على الزوال في أقل من قرن حسب ما قدره الكتاب.

بدائل لكل الشخصيات بالوطن الإسلامي:

قال السكرتير لي: وهناك غرف أخرى فيها نظير هذه التمثيلية بالنسبة لسائر البلاد التي هي مستعمرة بأيدينا، أو ما تقصد الحكومة استعمارها فيما بعد.

قلت للسكرتير: من أين تحصلون على هؤلاء الإبدال بهذه الدقة والمقدرة ؟ قال: أن عملاءنا في كافة البلاد يزودوننا بالمعلومات الكافية بصورة مستمرة، وهؤلاء الإبدال أخصائيون في هذه الناحية، ومن الطبيعي إنك إذا حصلت على معلومات كافية خاصة كما يعلمها (فلان) يكون نوع تفكيرك واستنتاجاتك مثل تفكيره واستنتاجاته، إذ تكون حينذاك نسخة طبق الأصل منه.

قال السكرتير: وهذا هو السّر الأول الذي أمرني الوزير إيقافك عليه.

وأما السر الثاني فسوف أطلعك عليه بعد شهر حيث أكون أتممت هذا الكتاب ويقصد الكتاب ذا الآلف صفحة الذي تقدمت الإشارة إليه.

مواطن الضعف والقوة في البلاد الإسلامية:

لقد طالعت الكتاب بدقة وإمعان من الجلد إلى الجلد، وظهرت لي آفاق جديدة من المعرفة بأوضاع المسلمين، كما ظهرت لي كيفية تفكيرهم، وكيف إنهم متأخرون؟ وما هي نقاط الضعف فيهم ؟ كما ظهرت لي نقاط القوة في المسلمين وإنه كيف يلزم العمل لهدمها وتبديلها بنقاط الضعف.

مواطن الضعف التي يجب استثمارها:

١- الاختلاف بين السنة والشيعة، والاختلاف بين الحكام والشعوب، والاختلاف بين حكومتي (الأتراك والفرس) والاختلاف بين العشائر، والاختلاف بين العلماء والحكومة[١].

٢- الجهل والأمية التي تكاد تستوعب كل المسلمين إلا نادراً[٢].

٣- خمول الروح وذبول المعرفة وفقدان الوعي[١].

٤- ترك الدنيا كلية والتعلق بالآخرة والعمل لها وحدها[٢].

٥- دكتاتورية الحكام والاستبداد الشامل[٣].

---

[١] وهذا افتراء فالقيمة والاعتبار اللذان أعطاهما الدولة العثمانية العلية للعلماء مدونة مطولة في وصية عثمان غازي وكل السلاطين العثمانية قد أعطوا المواقع العالية للعلماء، وحينما شكا حساد مولانا خالد البغدادي لمحمود خان الثاني وطلبوا إعدامه ردّ السلطان الطلب وقوله (لا تتضرر الدولة من العلماء) مشهور وسلاطين العثمانيين كانوا يأوون العلماء ويزودونهم بالأرزاق ويحسنون إليهم بالرواتب الكثيرة.

[٢] وكتب آلاف العلماء العثمانيين في الدين والأخلاق والإيمان والعلم معروفة في العالم وحتى العوام الذين يعدون جهلة كانوا يعرفون دينهم وعباداتهم وصنائعهم جيداً وفي كل قرية كانت توجد جوامع ومدارس وكانت تدرس فيها القراءة والكتابة وعلوم الدين والدنيا وكانت القرويات تقرأن القرآن الكريم، وفي القرى العلماء والأولياء الذين نشأوا فيها كانوا كثرة.

[١] كلا بل كانت معنويات المسلمين العثمانيين قوية جداً وكانوا يسارعون إلى الجهاد لنيل درجة الاستشهاد وعقب كل صلاة وفي خطب الجمعة كان الخطباء يدعو ن للخليفة والدولة بالخير ويقول الحاضرون من قلوبهم آمين.

[٢] الإسلام لا يفرق بين أمور الدين والدنيا.

[٣] السلاطين كانوا يهتمون بتطبيق الشريعة الإسلامية ولم يظلموا كالملوك في أوروبا.

٦- عدم آمن الطرق وانقطاع المواصلات إلا بقدر قليل.

٧- تدهور الصحة العامة حتى أن الطاعون والوباء يجتاحان البلاد بصورة مستمرة تقريباً ويجرفان عشرات الألوف في كل وجبة.

٨- خراب البلاد وانسداد الأنهر وقلة المزارع.

٩- الفوضى في كل شئون الإدارة فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين، فإنهم وإن كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن - إلا أن العمل بقوانينه يكاد يكون معدوماً.

١٠- تدهور الاقتصاد تدهوراً مشيناً فالفقر ضارب بجذوره في كل مكان.

١١- عدم وجود جيوش نظامية بمعنى الكلمة وعدم السلاح الكافي، ورداءة الموجود منه.

١٢- احتقار المرأة وهضم حقها.

١٣- الوساخة والقذارة في الأسواق والشوارع والأجسام وكل مكان.

أين المسلمون من أوامر الإسلام ؟

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف أن قانون الإسلام بالعكس، فاللازم إبقاء المسلمين في جهلهم حتى لا ينتبهوا إلى حقيقة دينهم، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام:

١- يأمرهم بالاتحاد والألفة ونبذ الفوارق، ففي القرآن (..واعتصموا بحبل الله جميعاً..) (آل عمران: ١٠٣).

٢- ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)

٣- ويأمرهم بالوعي، ففي القرآن: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (آل عمران: ١٣٧)

٤- ويأمرهم بطلب الدنيا، ففي القرآن (..ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة..) (البقرة: ٢٠١).

٥- ويأمرهم بالمشورة، ففي القرآن (..وأمرهم شورى بينهم..) (الشورى: ٣٨).

٦- ويأمرهم بتأمين السبل، ففي القرآن (..فأمشوا في مناكبها) (الملك: ١٥).

٧- ويأمرهم بمعاهدة أبدانهم وصحتهم، ففي الحديث (إنما العلوم أربعة: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الأزمان)

٨- ويأمرهم بالعمران، ففي القرآن (..خلق لكم ما في الأرض جميعاً..) (البقرة: ٢٩).

٩- ويأمرهم بالنظام، ففي القرآن (..من كل شيء موزون) (الحجر: ١٩) وفي الحديث (ونظم أمركم)

١٠- ويأمرهم بقوة الاقتصاد، ففي الحديث (من لا معاش له لا معاد له).

١١- ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح، ففي القرآن (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..) (الأنفال: ٦٠)

١٢- ويأمرهم باحترام المرأة، ففي القرآن (..ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف..) (البقرة: ٢٢٨).

١٣- ويأمرهم بالنظافة، ففي الحديث (النظافة من الإيمان)

مواطن القوة التي يجب هدمها:

١- لا يعيرون الاهتمام بالقوميات، والإقليميات، واللغات والألوان، وسوابق البلاد.

٢- ويحرم عندهم الربا، والاحتكار، والبغاء، والخمر، والخنزير.

٣- ويتعلقون بعلمائهم أشد التعلق.

٤- ويحترم طائفة كبيرة من السنة (الخليفة) ويعتبرونه مثالاً للرسول تجب طاعته كما تجب طاعة الله والرسول.

٥- ويوجبون الجهاد.

٦- ويرى أهل الشيعة نجاسة غير المسلم مهما كانت عقيدته.

٧- ويعتقدون بأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

٨- ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد الإسلام.

٩- ويرى أكثر المسلمين وجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

١٠- ويمارسون العبادات (الصوم - الصلاة - الحج) ونحوها ممارسة شديدة.

١١- ويرى أهل الشيعة وجوب عطاء الخمس، بدفعه إلى علمائهم.

١٢- ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكاً شديداً.

١٣- ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء والأجداد حتى ليستحيل الفصل للأبناء عن الآباء.

١٤- والمرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن تسريب الفساد إليها.

١٥- وعندهم صلاة الجماعة التي تجمعهم في كل يوم خمس مرات.

١٦- وعندهم المقابر للنبي وآله الصالحين فتكون مركز تجمعهم وانطلاقهم.

١٧- وفي أوساطهم كثرة من المنتسبين إلى الرسول (أولاده) فتذكر بالرسول، ويجعل الرسول حيا في أعينهم.

١٨- ويجتمع المسلمون في أوقات خاصة فيقوِّي الواعظ الإيمان في نفوسهم ويحرضهم على العمل الصالح.

١٩- وعندهم يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٠- وعندهم استحباب الزواج وكثرة النسل وتعدد الأزواج.

٢١- وعندهم أن من هدى إنساناً إلى الإسلام كان له خير من أن يملك كل الدنيا.

٢٢- وعندهم أن من سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

٢٣- وعندهم تقييم كبير للقرآن والحديث، وإتباعهما، يوجب الجنة والثواب.

المخططات الاستعمارية لنقاط الضعف والقوة:

ثم أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاط القوة، وذكر الأدلة الكافية لكيفية ذلك.

أولاً: أدلة توسيع نقاط الضعف:

يقول الكتاب في ما يمكن أن يعمل من أجل توسيع نقاط الضعف:

١- إن الاختلافات يمكن تركيزها بتكثير سوء الظن بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب التي تطعن في هذه الفئة، وتلك الفئة، واللازم بذل المال الكافي في سبيل التخريب والتفرقة.

٢- والجهل يمكن إبقاؤهم عليه بالمنع عن فتح المدارس ونشر الكتب، وإحراق ما يمكن إحراقه من الكتب، وصرف الناس عن إدخال أولادهم في المدارس الدينية بتلفيق الاتهامات ضد رجال الدين.

٣- ويمكن إبقاؤهم في حالة اللاوعي بتزيين الجنة أمامهم وإنهم غير مكلفين بالحياة الدنيا.

٤- توسيع حلقات أدعياء التصوف، وترويج الكتب الآمرة بالزهد مثل كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي) ومنظومات (المثنوي) لمولانا جلال الدين الرومي وكتب (أبن العربي)*.

٥- ويمكن تقوية دكتاتورية الحكام ببيان (إنهم ظل الله في الأرض) وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وبنى أمية وبنى العباس كلهم جاءوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف

---

* الزهد الذي امتدح في كتب التصوف هو ليس ترك أمور الدنيا، بل الزهد وعدم الحرص على الدنيا يعني أن الكسب واستعماله وفق الشريعة له ثواب كالعبادة.

وحكموا فرديا فأبو بكر جاء إلى الحكم بسيف عمر وإرهابه وإحراقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة كبيت فاطمة بنت محمد وعمر جاء إلى الحكم بوصية أبي بكر، وعثمان جاء إلى الحكم بأمر عمر، وعلي جاء إلى الحكم بانتخاب الثوار له، ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف، ثم توارث بنو أمية الحكم، ثم توارث بنو العباس الحكم.. كل ذلك دليل على أن الحكم في الإسلام دكتاتوري*.

٦- ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل بإلهاء الحكام عن معاقبة اللصوص، وتقوية جانب اللصوص وإعطائهم السلاح وإغرائهم بالعمل المستمر في طريق اللصوصية والافتشاش.

٧- ويمكن الإبقاء على حالتهم اللا صحية بنشر أن كل شيء بقدر الله تعالى وأن كل ذلك من الله، فلا فائدة في العلاج ألم يقل الله في القرآن (والذي هو يطعمني

---

* في الأحاديث الشريفة إشارات على كون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله تعالي عنهم خلفاء إلا إنه لم تعلم بصراحة مواقيت خلافتهم وكان قد تركت هذه المهمة لانتخاب صحابته، وفي انتخاب الخليفة كان اجتهاد الصحابة على ثلاثة أنواع والخلافة ليست بحال ميراث يلزم أعطاوه للأقرباء وكان موافقاً انتخاب أول خليفة هو أبو بكر الذي أول من أسلم وسبب إسلام الآخرين ونصبه النبي ﷺ إماماً وافتدي به وهاجر معه وفي أثناء انتخاب الخليفة جاء البعض إلى بيت علي رضى الله عنه وقال من بينهم أبو سيفان (مد يدك أبايعك وأن أردت أملا كل الأماكن بالمشاة والخيالة) فلم يقبل ذلك علي رضى الله عنه وقال "أتريدون أن تفرقوا المسلمون وعدم خروجي من البيت ليس سببه تنصيبي خليفة وقد صعقت لفراق رسول الله (ﷺ) وبقيت متحيراً) وجاء الأمام علي إلى المسجد وبايع أبا بكر أمام الجميع وقال أبو بكر (ما أردت أن أكون خليفة وقبلتها مضطراً لكي لا تظهر الفتنة) وقال علي رضى الله عنه (أنت أولى بالخلافة) وكان علي رضى الله عنه يقول(أن أفضل هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر) .

ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين)(الشعراء: ٧٩-٨١) فالشفاء بيد الله، والموت بيد الله، فلا سبيل للشفاء بدون إرادته، ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره[1] .

٨- ويمكن الإبقاء على الفوضى ببيان إن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه، ولذا لم يكن لمحمد ولا لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين[2].

٩- أما تدهور الاقتصاد فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات، ويمكن زيادته بإحراق المحاصيل، وإغراق البواخر التجارية، وإحراق الأسواق، وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع وعلى البلاد، وإلقاء السم في المشارب العامة[3].

١٠- ويمكن إلهاء الحكام في الفساد والخمر، وبتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش.

١١- ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة، أليس في القرآن (الرجال قوامون على النساء..) (النساء: ٣٤) أليس في السنة: (المرأة شر كلها)[4]

١٢- أما الوساخة والقذارة فهي نتيجة طبيعية لشح الماء، فاللازم الحيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان.

---

[1] لخداع المسلمين يقوم الإنجليز بإعطاء معان فاسدة لآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، والتداوي سنة وخلق الله تعالى شفاء في الأدوية وأمر نبينا ﷺ باستعمال الأدوية والشفاء من الله.

[2] العبادة ليست الصلاة والصوم والحج فقط بل عمل أمور الدنيا بنية أدائها أمراً من الله تعالى يدخل ضمن العبادة.

[3] انظروا إلى وحشية وهمجية الإنجليز ضد المسلمين الذين يُسمون أنفسهم متحضرين وكلمة حقوق الإنسان لا تفارق ألسنتهم.

[4] لم أجد له أصلاً، وهو يناقض نفسه حيث ذكر من قبل إن الإسلام يأمر باحترام المرأة.

ثانياً: أدلـة طمس نقاط القـوة:

أما ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة فقد أوصى الكتاب:

١- بلزوم إحياء النعرات القومية والإقليمية واللغوية واللونية وغـير ذلـك في المسـلمين، كما أوصى بلـزوم جلـب اهتمـام المسـلمين إلى سـوابق حضـارات بلادهـم، وأبطـال شخصياتهم قبل الإسلام، كإحياء الفرعونية في مصـر، وإحيـاء الثنويـة في فـارس، وإحياء البابلية في العـراق (إلى آخـر القائمـة الطويلـة الـتي وضعـها الكتـاب بـهذا الشأن).

٢- كما يلزم إشاعة الأمور الأربعة التالية: الخمر والقمار والبغاء ولحم الخـنزير جـهراً أو سراً.

ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصائبة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل إحياء هذه الأمور، وجعل مرتب مـن خزينـة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هذه الأمور بـين المسـلمين، وجعـل جوائـز وأغراءات لكل من تمكن من أن يوسع دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر.

وأوصى الكتاب بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور علناً وسراً، وضرورة بذل ما يمكن في سبيل إنقاذ كل من يقع تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور الأربعة.

كما أوصى الكتاب بنشر (الربا) بكل صـوره، فإنـه بالإضافـة إلى إنـه هـدم للاقتصـاد الوطني يوجب تجرّؤ المسلمين على خرق قوانين القرآن، ومن خرق قانوناً سهل عليـه خرق سائر القوانين.

وقد أوصى الكتاب إنه من اللازم أن يبين للمسلمين أن الحرام هو الربا المضاعف حيث يقول القرآن (..**لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة**..)(آل عمران: ١٣٠) وليس الربا بكل صوره حراماً.

٣- كما يجب تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم بإلصاق التهم بالعلماء، وإدخال بعض العملاء في زي العلماء، ثم يرتكبون الجرائم ليشتبه كل رجل دين عندهم هل إنه عالم أو عميل؟ ومن المؤكد إدخال أمثال هؤلاء العملاء في الأزهر والآستانة والنجف وكربلاء.

٤- ومن طرق تضعيف صلة المسلمين بعلمائهم فتح المدارس لدراسة أطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة ليربوا الأطفال على كره العلماء وعلى كره الخليفة وذكر مساوئه وإنه منشغل بالملذات، وبصرف أموال الشعب في الفساد والترف، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشئون.

٥- ويلزم التشكيك في أمر الجهاد، وإنه كان أمراً وقتيا انقضى بانقضاء زمانه.

٦- ويلزم إخراج فكرة نجاسية الكفار عن نفوس أهل الشيعة، وبيان أن الله قال في القرآن (.. **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** ..) (المائدة: ٥) وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي صفية، وزوجة نصرانية وهي مارية، ولا يمكن أن تكون زوجة الرسول نجسة*.

٧- ويلزم أن يعتقد المسلمون أن مقصود الرسول بالإسلام (الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية لا المسلمة بدليل أن القرآن يسمى كل أهل دين مسلماً، ففي القرآن أن يوسف النبي قال: (..**توفني مسلماً**..) (يوسف: ١٠١)، وقال إبراهيم وإسماعيل

---

* صفية رضى الله عنها أسلمت، وأما مارية القبطية فلم تكن من زوجات الرسول (ﷺ) بل كانت جارية وقد أسلمت أيضاً وصلى عليها سيدنا عمر رضى الله عنه.

(ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك..) (البقرة: ١٢٨)، وقال يعقوب النبي لبنيه: (..فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (البقرة: ١٣٢).

٨- وكيف تحرم الكنائس، والرسول وخلفاؤه لم يهدموها، بل احترموها، وفي القرآن: (..ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات..) (الحج: ٤٠)، والصوامع للنصارى، والبيع لليهود والصلوات للمجوس، والإسلام يحترم محلات العبادة لا إنه يهدمها ويمنع عنها.

٩- ويجب التشكيك في حديث (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب) وحديث (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) فإنه لو كان الحديث صحيحاً، لما كانت زوجة الرسول يهودية ونصرانية، وزوجة الصحابي طلحة يهودية، ولما فاوض الرسول نصارى نجران.

'- ويلزم صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك في جدواها فإن الله غني عن طاعة الناس، ويلزم المنع أشد المنع عن الحج، وعن كل إجماع بين المسلمين مثل (صلاة الجماعة) وحضور مجالس الحسين والمسيرات الحزينة له، كما يلزم المنع أشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد، والكعبة والحسينيات والمدارس.

'- ويجب التشكيك في الخمس، وإنه خاص بالغنائم المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاسب، ثم الواجب إعطاء الخمس للنبي أو الإمام لا إلى العالم، بالإضافة إلى أن العلماء يشترون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين، فلا يجوز شرعاً دفع الخمس إليهم.

'- واللازم توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك في العقيدة، واتهام الإسلام بأنه دين التخلف والفوضى، ولذا تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الاضطراب والسرقة.

١٣- والواجب الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج الأبناء من تحت تربية الآباء، وعند ذلك تكون التربية بأيدينا نحن، وإذا خرجوا عن تربية الآباء لابد وأن ينفصلوا عن العقيدة وعن التوجيه الديني، وعن الصلة بالعلماء.

١٤- ويلزم إغراء المرأة بإخراجها عن العباءة بحجة أن الحجاب عادة خلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول، وكانت المرأة تشترك في كل الشئون وبعد إخراج المرأة عن العباءة لابد من إغراء الشباب بهن ليقع الفساد بينهما، واللازم أن نخرج النساء غير المسلمات من العباءة أولاً حتى تقتدي بهن المرأة المسلمة.

١٥- ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الإمام وإظهار مساوئه، وبإثارة البغضاء بين الإمام وبين الذين يصلون معه بكل الوسائل والسبل.

١٦- أما المقابر فاللازم هدمها بحجة إنها لم تكن في عصر النبي وإنها بدعة، كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين، فالنبي دفن عند قبر أمه، وأبو بكر وعمر دفنا في البقيع، وعثمان مجهول قبره، وعلي دفن في البصرة، أما في النجف فهو قبر المغيرة بن شعبة، والحسين دفن رأسه في حنّانه وجسده مجهول القبر، وفي الكاظمية قبر الخليفتين لا قبر الكاظم والجواد من آل الرسول، وفي طوس قبر هارون لا قبر الرضا من أهل البيت، وفي سامراء قبور بني العباس لا قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت، والبقيع يجب تسويتها مع الأرض، كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم.

١٧- أما آل الرسول، فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول، واللازم تلبيس غير آل الرسول بالعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسيئوا الظن بآل الرسول، ويشكوا في نسبهم، كما أن اللازم نزع العمائم عن

رؤوس رجال الدين والسادة ليضيع نسب آل الرسول، ولكي لا يتلقّى رجال الدين الاحترام عن الناس.

١٨- والحسينيات يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة وإنها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل، ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية.

١٩- واللازم إشراب الحرية في نفوس المسلمين، فلكل إنسان ما يريد من الأعمال، فلا يجب الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولا تعليم الأحكام، ويلزم الإلقاء إليهم بأن (عيسى على دينه وموسى على دينه) وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس.

٢٠- ويجب تحديد النسل، وأن لا يتزوج الرجل أكثر من زوجة واحدة ووضع القيود على الزواج مثل إنه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية، وبالعكس، ولا لتركي أن يتزوج عربية وبالعكس.

٢١- ويجب أن يمنع منعاً باتاً التبشير بالإسلام والهداية إليه، وإشاعة إن الإسلام دين قومي ولذا قال القرآن (**وإنه لذكر لك ولقومك..**) (الزخرف: ٤٤).

٢٢- والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها، وجعل أمرها بيد الدولة، وحتى إنه لا يحق لأحد أن يبني مسجداً أو مدرسة أو ميتماً، أو غير ذلك من السنن الحسنة والصدقات الجارية.

٢٣- كما أن اللازم التشكيك في القرآن ونشر قوانين مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه، ويلزم إسقاط الآيات التي تسب اليهود والنصارى والكفار، وإسقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف*، وترجمة القرآن إلى اللغات

---

* لم يوفق الإنجليز في سعيهم هذا لأن الله تعالى وعد بحفظ القرآن من التغيير والتحريف.

المحلية كالتركية والفارسية والهندية، والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب، كما يجب منع الأذان والصلاة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب، وكذلك من الضروري التشكيك في الأحاديث المروية، وأن يعمل بها كما يعمل بالقرآن من التحريف والترجمة والطعن.

بريطانيا تجند رجال المخابرات لنسف الإسلام:

لقد كان رائعاً جداً ما وجدته في هذا الكتاب واسمه (كيف نحطم الإسلام) وكان أفضل برنامج لعملي في المستقبل، وقد قال لي السكرتير – حين أرجعت الكتاب إليه وأبديت إعجابي الشديد به:– أعلم إنك لست في الميدان وحدك، بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك، والذين جندتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة أكثر من خمسة آلاف شخص، وتفكر الوزارة في أن تزيد عددهم إلى مائة ألف، ويوم نصل إلى تجنيد هذا العدد، فإنه هو اليوم الذي نستولي فيه على المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام وبلاده نسفاً كاملاً.

ثم أردف السكرتير قائلاً: وإني أبشرك أن أقصى مدة تحتاجها الوزارة لتكميل هذه الخطة هي قرن من الزمان، ولو لم نصل نحن إلى ذلك الزمان فإن أبناءنا سوف يرون ذلك بأم أعينهم وما أروع المثل القائل (غيري زرع فأكلت وأنا أزرع حتى يأكل غيري).

وإذا تمكنت سيدة البحار من نسف الإسلام والاستيلاء على بلاده فقد ثأر العالم المسيحي من أتعاب اثني عشر قرناً كان المسلمون يطاردون ويهاجمون المسيحيين.

وقال السكرتير: إن الحروب الصليبية لم تكن ذات جدوى، كما أن المغول لم ينفعوا في قلع جذور الإسلام لأن عملهم كان ارتجالاً بدون حكمة وتخطيط، وكانوا يعملون أعمالاً عسكرية ظاهرة العدوان، ولذا فإنهم انحسروا بسرعة.

أما الآن فقد اتجه تفكير القادة من حكومتنا العظمى إلى هدم الإسلام من داخله تحت خطة مدروسة دقيقة، وبصبر طويل ونهائي.

صحيح أنا نحتاج إلى الحسم العسكري أخيراً، لكن الحسم العسكري سيأتي في المرحلة الأخيرة، حيث نكون أنهكنا بلاد الإسلام وضربنا الإسلام بالمعاول في كل جوانبه حتى صار لا يقوى على تجميع قواه ورد الحرب بالمثل.

ثم أردف السكرتير أيضاً أن عملائنا بالآستانة عملوا بنفس الخطة التي قررناها نحن، فقد تغلغلوا في أوساط المسلمين ففتحوا المدارس لتربية أولادهم، وأسسوا الكنائس في أوساطهم، ونشروا بينهم الخمر والقمار والدعارة، وشككوا شبابهم في دينهم، وأثاروا بين حكوماتهم النزاعات، وأشعلوا هنا وهناك بينهم الفتن، وملآوا بيوت كبارهم بالحسناوات المسيحيات، حتى ضعفت شوكتهم، وقل تمسكهم بدينهم، ووهنت وحدتهم وألفتهم، وإذا بالعظماء يشنون عليهم حروباً عسكرية خاطفة فينقلع الإسلام عن جذوره في تلك البلاد*.

---

* لهدم الدولتين المسلمتين الكبيرتين الهند والعثمانية قد طبق الإنجليز هذه المواد التي هيئتها نحو الإسلام وقد قاموا بتشكيل فرق فاسدة إسلامية في الهند وبعد ذلك استولى الجيش الإنجليزي على الهند بسهولة وهدم الدولة الإسلامية المظيمة وترك علماء الإسلام في السجون للموت وحبسوا السلطان ومزقوا ولديه ونهبوا الأشياء النفسية والخزائن النادرة التي حفظ عليها منذ القرون ونقلوها بالسفن إلى لندن وقد طلي بالطين اليوم مكان الألماس والزمرد والياقوت المسروقة من قبل الإنجليز التي كانت على حيطان المرقد المسماة بـ(تاج محل) في أكره الذي بناها شاه جهان في ١٠٤١هـ (١٦٣١م) من سلاطين الهند على قبر زوجته المحترمة ارجمند بيكوم والطين المطلي على الحيطان يعلن للعالم وحشية الإنجليز وهذه الثروات التي سرقوها يستعملونها لهدم الإسلام وكما قال الشاعر (إن كان للظالم ظلمه.. فإن للمظلوم ربه) فقد تجلت العدالة الإلهية ولقوا جزاءهم في الحرب العالمية الثانية، مع أغنياء الإنجليز الخائفة من استيلاء الألمان لإنجلترا، ومنسوبوا الكنسية والدولة وأولاد الوزراء وعشرات الآلاف من أعداء الإسلام لدى فرارهم إلى أمريكا حيث تفجرت وأغرقت سفنهم بالمتفجرات المغناطيسية من السفينتين الحربيتين الألمانيتين وغرقوا في المحيط الأطلسي وبعد الحرب تخلوا عن جميع مستعمراتهم بالقرارات المتخذة من قبل جمعية الأمم المتحدة مركز حقوق الإنسان– بنيويورك وبذا قد خسروا الموارد التي استثمرتها وزارة المستعمرات على مر العصور وانحصروا في جزيرة بريطانيا.

السر الثاني

وثيقة أخرى لتحطيم الإسلام والمسلمين:

أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به، وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد أن ذقت طعم السر الأول، ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة، تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد، حتى يكون الإسلام خبراً بعد حقيقة، والوثيقة كانت موجهه إلى الرؤساء العامين العاملين في حقل الوزارة لأجل هذا الشأن، وهي كانت مركبة من بنود أربعة عشر، وقد حذرت الوثيقة من إفشائها وأمرت بكتمانها اشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو:

١- التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى وتاجكستان وأرمينيا وخراسان وما والاها وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحايدة لروسيا.

٢- التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج.

٣- إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية، وإذكاء الطائفية والعرقية بين الجانبين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية، وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها وإثارة النزاعات بينها.

٤- إعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين (فأولاً) يثرب لليهود (وثانياً) الإسكندرية للمسيحيين (وثالثاً) يزد للزرادشت الفارسيين (رابعاً) عمارة للصائبة (وخامساً) كرمانشاه للذين يؤلهوّن على بن أبي طالب (وسادساً) الموصل لليزيدية

(وسابعاً) خليج فارس للهندوك بعد أن يستوردوا كميات كبيرة من الهند (وثامناً) طرابلس للدروز (وتاسعاً) فارض للعلويين (وعاشراً) مسقط للخوارج.

ثم اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات أشواكاً في جسم الإسلام، ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥- التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية والفارسية إلى أكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند انطلاقاً من قاعدة فرّق تسد وفرق تحطم.

٦- زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام، واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يلائم كل دين من تلك الأديان مع هوى جمع من أهل البلاد (مثلا) اللازم زرع أربعة أديان في جسم بلاد الشيعة، دين يؤلّه الحسين بن علي ودين يعبد جعفر الصادق، ودين يعيد المهدي الموعود، ودين يعبد علي الرضا، والمكان المناسب للأول (كربلاء) والثاني (أصفهان) وللثالث (سامراء) وللرابع (خراسان).

كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية أدياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض، وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم إنهم المسلمون فقط، وأن ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

٧- نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم أن يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية.

٨- الاهتمام لزرع الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجرها، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضّل، وعليه فمن

الضروري إدخال أفراد في الإسلام صورة ثم إيصالهم إلى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم*.

٩- منع اللغة العربية حسب الإمكان، وتوسيع اللغات غير العربية مثل السنسكريتية والفارسية والكردية والبشتو وإحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة.

١٠- زرع العملاء حول الحكام وإيصالهم إلى رتبة المستشارين لهم، حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والجواري ذووا الكفاءات العالية، فاللازم تربية أولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة إلى المقربين من الحكام، كأولاد الحكام، وزوجاتهم، وذوي الرأي لديهم، حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجياً، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم*.

---

* لقد وفق الإنجليز بسعيهم هذا وتمكنوا من إيصال الماسونيين مثل مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا وطلعت باشا المتفسخين من أصول يهودية وأرمنية إلى مراكز الحكم في الإمبراطورية العثمانية وكذلك تمكنوا من جعل الماسونيين مثل عبد الله جودت وموسى كاظم مراجع وأصحاب قول في أمور الدين.

* الأمر في تصورهم كان أكبر بكثير من مجرد زرع جواسيس تحت مسمى عبيد مستفيدين بسماحة الإسلام في حسن معاملة العبيد والجواري، بل كانوا يسعون إلى تقليد المماليك الذين استولوا على السلطة وحكموا مصر والشام لعدة قرون وكان هذا الأمر مشاهد لهم وليس عنهم ببعيد بل كانوا معاصرين له، وهذا من عظمة الإسلام أن يبلغوا هذه المنزلة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، ولذلك فإن هؤلاء طمعوا أيضاً في الاستيلاء على الحكم لتحقيق مطامعهم الخسيسة، ولكنهم لم يدركوا أن المماليك كانوا مسلمين صادقين وإنهم في فترة

١١- توسيع نطاق التبشير بإدخال المبشرين في كل صنف خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين ومن إليهم، وزرع الكنائس والمدارس، والمصحات ودور الكتب، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها، ونشر ملايين الكتب المسيحية في أوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض، والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريخ الإسلامي، وزرع الجواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات، مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشئونهم كما أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من أجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم، بعد الإطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم.

١٢- تمييع شباب المسلمين بناتاً وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وإفساد أخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين يهيئون لهذا الشأن، فمن الضروري تكوين جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرهما من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق.

١٣- إشعال الحروب والثورات الداخلية والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين أنفسهم على طول الزمان لتستنفد قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم، وتوحيد الصف، ولتستنزف طاقاتهم الفكرية ومواردهم المالية، وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم، وتنشر الفوضى والإرباك والشغب فيهم.

حكمهم هزموا التتار وأجهزوا على الصليبيين أما هؤلاء فكانوا منافقين ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى خذلهم ولم يمهلهم لإنجاز هذه المكيدة الشيطانية التي لم يحصدوا منها إلا المهانة.

١٤- تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود، وطمس الأنهر، والسعي لتفشيّ البطالة فيهم بتنفيرهم عن العمل. وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي الأفيون وسائر المواد المخدرة.

وقد كانت هذه البنود مشرحة شرحاً وافياً، ومزودة بالخرائط والصور والأشكال

الباب الخامس
ابن عبد الوهاب ينفذ أوامر بريطانيا

مستر همفر مع ابن عبد الوهاب:

شكرت السكرتير على تزويده لي بصورة من هذه الوثيقة وبقيت في لندن مدة شهر آخر حتى أتتنا أوامر الوزارة بالتوجه إلى العراق مرة أخرى، لتكميل الشوط مع (ابن عبد الوهاب) وقد أمرني السكرتير بأن لا أفرط في حقه مقدار ذرة حيث قال: (إنه حصل من مختلف التقارير الواردة إليه من العملاء أن الشيخ أفضل شخص يمكن الاعتماد عليه ليكون مطية لمآرب الوزارة).

ثم قال السكرتير: تكلّم مع الشيخ بصراحة، وقال أن عميلنا في أصفهان تكلم معه بصراحة وقبل الشيخ العرض على شرط أن نحفظه من الحكومات والعلماء الذين لابد وأن يهاجموه بكافة السبل حينما يُبدي آراءه وأفكاره، وأن نزوّده بالمال الكافي والسلاح إذا اقتضى الأمر ذلك، وأن نجعل له إمارة ولو صغيرة في أطراف بلاده (نجد) وقد قبلت الوزارة كل ذلك.

المخطط البريطاني لأبن عبد الوهاب:

لقد كدت أخرج عن جلدي من شدة الفرح بهذا النبأ، ثم قلت للسكرتير: إذن فما هو العمل الآن؟ وبماذا أكلف الشيخ؟ ومن أين أبدأ قال السكرتير: لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينفذها الشيخ وهي:

١- تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبيعهم في أسواق النخاسة، وحلية جعلهم عبيداً ونسائهم جواري.

٢- هدم الكعبة باسم إنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

٣- السعي لخلع طاعة الخليفة، والإغراء لمحاربته وتجهيز جيوش لذلك، ومن اللازم أيضاً محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

٤- هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم إنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر.

٥- نشر الفوضى والإرهاب في البلاد حسب ما يمكنه ذلك.

٦- نشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة*.

قال السكرتير لي بعدما بين البرنامج المذكور: لا يهولنّك هذا البرنامج الضخم، فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة، وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفس الطويل، والسير خطوة خطوة، وهل محمد النبي *إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل؟ فليكن ابن عبد الوهاب مثل نبيه محمد* ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود.

بعد أيام استأذنت الوزير والسكرتير، وودعت الأهل والأصدقاء، وحين أردت الخروج قال ولدي الصغير: بابا أرجع بسرعة فانهمرت عيناي، ولم أتمكن إخفاء ذلك عن زوجتي، وقبلتها وقبلتني قبلات حارة.

---

* القول بأنه يوجد في الأحاديث الشريفة المدونة في الكتب المعتبرة زيادات ونقصان هو افتراء عظيم والذي يعلم كيفية جمع آلاف الأحاديث من قبل آلاف المحدثين لا يصدق أمثال هذه الأكاذيب.

مستر همفر يلتقي بابن عبد الوهاب في نجد:

غادرت لندن بعد أن أخذت التعليمات قاصداً نحو البصرة، وبعد سفرة مضنية وصلت إليها ليلاً وذهبت إلى دار عبد الرضا وكان نائماً، ولما رآني رحب بي واستقبلني استقبالاً حاراً ونمت هناك حتى الصباح، وقال لي: أن الشيخ محمد رجع إلى البصرة ثم سافر وأودع عنده كتاباً موجهاً إليك، وفي الصباح قرأت الكتاب وإذا به يخبرني فيه أنه سافر إلى نجد وقد ذكر عنوان محله في نجد.

فسافرت في الصباح ميمماً وجهه نجد، ووصلتها بعد مشقة بالغة.

وجدت الشيخ محمد في داره، وقد ظهرت عليه آثار الضعف، فلم أبح له بشيء ثم تبين فيما بعد إنه تزوج، وإنه ينهك قواه مع زوجته، فنصحته بالإقلاع، فسمع كلامي، وقد صار القرار أن أجعل نفسي عبداً له قد اشتراه من السوق، وأن العبد الآن جاء من السفر، وهكذا كان، فشهر عند أصدقائه أني عبده اشتراه من البصرة وأنه كان في سفر أمره به وإنه جاء الآن، وتلقاني الناس بهذا الاسم وبقيت عنده سنتين، وهيأنا الترتيب اللازم لإظهار الدعوة.

وفي سنة ١١٤٣ هجرية قويت عزيمته وقد جمع أنصارا لا بأس بها، فأظهر الدعوة بكلمات مبهمة وألفاظ مجملة لأخص خواصه.

ثم جعل يوسع رقعة الدعوة، وألففت أنا حوله عصابة شديدة المراس زودناهم بالمال، وكنت أشد عزيمتهم كلما أصابهم خور من أجل مهاجمة أعدائه له، وكلما أظهر الدعوة أكثر صار أعداؤه أكثر، وأحياناً كان يريد التراجع من ضغط بعض الإشاعات ضده، لكني كنت أشد من عزيمته، وأقول له: أن محمد النبي رأي أكثر من ذلك، وإن هذا هو طريق المجد، وإن كل مصلح لابد وأن يتلقى العنت والإرهاق.

وهكذا كنا مع الأعداء بين الكر والفر، وقد وضعت على أعداء الشيخ جواسيس شريتهم بالمال، فكلما أرادوا إثارة فتنة أخبرنا الجواسيس بقصدهم، فنتمكن من قلب الخطة،

وذات مرة أخبرت أن بعض أعدائه أرادوا اغتياله، فوضعت الترتيبات اللازمة لإفشال الخطة، ولما ظهر قصد أعدائه بإرادتهم اغتيال الشيخ انقلبت الخطة عليهم، وأخذ الناس ينفرون منهم.

ابن عبد الوهاب ينفذ أربعة بنود من المخطط:

لقد وعدني الشيخ بتنفيذ كل الخطة السداسية، إلا إنه قال: إنه لا يتمكن في الحال الحاضر إلا على الأجهار ببعضها، وهكذا كان، وقد استبعد الشيخ أن يقدر على هدم الكعبة عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية، وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد، وكان أشد خوفه من السلطة في مكة وفي الآستانة وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لابد وأن يجهز إلينا جيوش لا قبل لنا بها، وقبلت منه العذر لأن الأجواء لم تكن مهيأة كما قال الشيخ.

بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب محمد بن سعود إلى جانبنا فأرسلوا إلى رسولاً يبين لي ذلك ويظهر وجوب التعاون بين المسلمين فمن محمد بن عبد الوهاب الدين ومن محمد بن سعود السلطة، ليستولوا على قلوب الناس وأجسادهم فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواماً وأشد نفوذاً وأرهب جانباً.

وهكذا كان، وبذلك قوى جانبنا قوة كبيرة وقد أتخذنا الدرعية عاصمة للحكم والدين الجديد وكانت الوزارة تزود الحكومة الجديدة سراً بالمال الكافي، كما اشترت الحكومة الجديدة في الظاهر عددا من العبيد كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية، فكنت أنا وإياهم وعددهم أحد عشر – نتعاون بوضع الخطط اللازمة، كان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود يسيران على ما نضع لهما من الخطط، وكثيراً ما نتناقش الأمر مناقشة موضوعية إذا لم يكن أمر خاص من الوزارة.

وقد تزوجنا جميعاً من بنات العشائر، وقد أعجبنا بإخلاص المرأة المسلمة لزوجها،وبذلك اشتبكت أواصر الصلة بيننا وبين العشائر أكثر فأكثر، والأمر الآن يسير من حسن إلى أحسن، والمركزية تتقوى يوماً بعد يوم، وإذا لم تقع كارثة مفاجئة فقد بذرت البذرة الصالحة لأن تنمو وتنمو حتى تؤتى الثمار المطلوبة.

الموضـــوع	الصفحة

الباب الأول

البـاب الثاني

الوهابية

لقد جاءت فكرة هذا الكتاب بعد قراءتي لكتاب « إبراء الذمة بتحقيق القول حول افتراق الأمة » لفضيلة الأستاذ/محمد إبراهيم عبد الباعث الحسيني الكتاني وموضوعه فريد للغاية ويدور حول تصحيح فهم المسلمين لأحاديث رسول الله ﷺ عن افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وأن المقصود بهذه الأمة التي افترقت هي أمة الدعوة ، أما أمة الإجابة فتمثل فرقة واحدة فقط من هذه الفرق وهي أمة الإسلام .

لذا رأيت-استكمالا لهذا الفهم الجديد والقصد الرشيد لجمع شمل الأمة الإسلامية - تسليط الضوء على الفكر الوهابي الذي تسبب في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين وإعطاءه الفرصة ولو بدون قصد لأعداء الأمة الإسلامية لتنفيذ مخططاتها الهدامة التي سيجدها القارئ في ملحق الكتاب تحت مسمى « مذكرات مستر همفر » رجل المخابرات البريطانية في البلاد الإسلامية في القرن الثامن عشر .

سامي المليجي

MADBULI BOOKSHOP
مكتبة مدبولي
6 Talat Harb SQ. Tel.: 5756421
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١